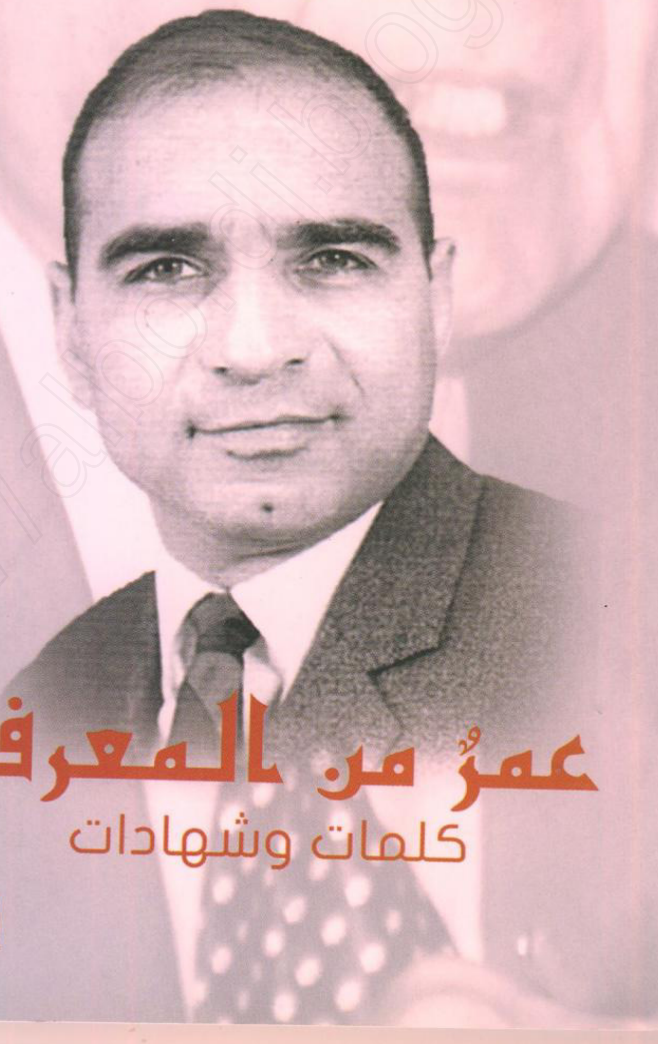
احتفاءً باليوم العالمي للغة العربية

تكريم قامة..

الأستاذ الدكتور مختار نويوات



عمرٌ من المعرفة

كلمات وشهادات

منشورات
المجلس الأعلى للغة العربية

المجلس الأعلى للغة العربيّة

احتفاءً باليوم العالمي للغة العربية

18 ديسمبر

تكريم قامة..

الأستاذ الدّكتور مختار نويوات

عمرٌ من المعرفة

كلمات وشهادات

منشورات

المجلس الأعلى للغة العربية

«إن الطريق الصّحيـــح والصعب في نفس الوقت لإثبات كفـــاءة اللغة العربية الجميلـــة وثروتهـــا التعبيرية الزاخرة يتمثـــل في تطوير البحـــث العلمي في مختلف فـــروع المعرفة وتطبيقاتهـــا التكنولوجية، وتشـــجيع التفوق والإبداع بها في الآداب والفنون الجميلة، وتســـهيل انتشـــار المنتـــوج الثقافي..»



«جادت بلادي بعـــدد كبير مـــن الشـــخصيات الفكرية التي أســـهمت، عبر أحقاب التاريـــخ، فـــي تكويـــن الفكـــر الإنســـاني وإثرائه وتقدمـــه، وهـــي تتشـــرف بالاحتفـــاء بهـــم وتحيـــي ذكراهم بتجديـــد الاهتمام بأعمالهـــم».

«إن الحيـــاة المعاصرة تقوم على الدقة والســـرعة والمردوديـــة الجيدة في الكـــم والكيـــف، ولذلك ينبغـــي علينا أن نثـــرى لغتنا ونعمـــل على تحيين ذخيرتها العلميـــة والتكنولوجية والجمالية لتســـاهم مـــع غيرها من اللغات الحيـــة فـــي تطورنـــا العلمـــي والتكنولوجي، وتفرض نفســـها بـــلا عقد في مجالها الحيـــوي الطبيعي..»

مقتطفات من خطب فخامة رئيس الجمهورية
السيد عبد العزيز بوتفليقة
يونيو 2003

حدث هذا

يوم الخميس 18 ديسمبر 2014

المكتبة الوطنية الجزائرية

برعاية كريمة من فخامة رئيس الجمهورية

السيد عبد العزيز بوتفليقة

كلمات
شهادات
وصوّر

"اللغـة لا تكـون حـرّة طليقـة منتفعـة بـكلّ طاقاتهـا إلاّ إذا كان أهلهـا علمـاء منتجيـن مختـرعيـن يغترفـون مـن مـوارد لسـانهم بـكلّ حريّـة وبسـهولة فائقـة.." .

مختار نويوات

سيرة مقتضبة
للأستاذ الدّكتور مختار نويوات
أستاذ بجامعة باجي مختار - عنّابة

كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة

الاسم واللقب: مختار نويوات

تاريخ الميلاد ومكانه: خلال **1930** بأولاد عديّ لقبالة، ولاية المسيلة

الدّراسة:

الْكُتّاب وحفظُ القرآن – الابتدائيّ – الثّانويّ – العالي (كلُّ المراحل بالعربيّة والفرنسيّة، يضاف إليهما الإسبانيّة في التّعليم العالي).

الشّهادات:

- شهادة الدراسات العليا الإسلاميّة: 1951 (جامعة الجزائر).

- شهادة اللّيسانس في الأدب العربيّ: 1954 (جامعة الجزائر).
- شهادة الدّراسات العليا (1962 : (D.E.S (جامعة الجزائر).
- التّبريز: 1963(باريس).
- دكتوراه الدولة في الآداب والعلوم الإنسانيّة: (جامعة السوربون: باريس.4) 1981.

المناصب :

- أستاذ بالتعليم الثانويّ : 1954 — 1962 مع انقطاع في السنة الدراسيّة 1956 - 1957 (حوكِمتُ وسُجِنتُ لأسباب سياسيّة وأوقفت عن العمل).
- مدير ثانويّة القدّيس أوغستين بعنّابة ومفتّش آكاديميّة في آن واحد (1962).
- مفتّش آكاديميّة بعنّابة : (1962- 1965).
- مكلّف بالتّفتيش العامّ البيداغوجي بوزارة التربية الوطنيّة: (1965-1981).
- أستاذ مكلّف بالدروس،فمحاضر، فمرسّم (1985) بجامعة باجي مختار بعنّابة: منذ 1981.

الأعمال التربويّة :

دُرِّبْتُ على فنّ التربية والتّعليم بمعهد الدّراسات العليا ومدرسة المعلّمين ببوزرّيعة مدّة سنتين (1949–1951). ومارسته في المرحلتين الثانويّة والجامعيّة. وباشرته مفتّشا عامّا من سنة 1965 إلى سنة 1981 على مستوى القطر ثمّ على مستوى الشّرْق. ونظّمت في تلك الفترة ما يربو على الأربعين ملتقى تربويّا.

التّدريس بجامعة عنّابة :

درّست في التدرّج العروض والنحو والصّرف، وفيما بعد التدرّج الأدب العربيّ لا سيّما الأدب الشيعيّ ودعائمه العقَديّة، والأدب الصّوفيّ وأسُسَه، وتحليل الخطاب على الطرائق الحديثة بنماذج عربيّة ومعرّبة، ونظريّة الشعر عند أرسطو والأدباءِ الغربيّين لاسيّما الإيطاليّين والفرنسيّين إلى القرن السابع عشر، وأدبَ المسرح : نشأته ونماذج منه في المشرق العربيّ وفي الجزائر وتونس والمغرب الأقصى، والبلاغتين العربيّة والفرنسيّة (دراسة مقارنة).

الملتقيات العلميّة:

شاركت في ملتقيات علميّة ثقافيّة تربويّة كثيرة وطنيّة وعالميّة في نطاق التفتيش العامّ والتعليم العالي.

النشاط على مستوى وزارة التعليم العالي:

رأست لجان المعادلات، وتقويم مشاريع البحث العلميّ، وإصلاح التّعليم إلى سنة 2000.

البحث العلميّ:

أشرفت على أربع مشاريع بحث:

- «**تأصيل العاميّة في الفصحى**» (الألفاظ التي يُجهَل أصلُها أو يصعب الاهتداء إليه». حرّرتُ الجزء الأوّل من المشروع: 150 ص (أ–ح). أنجز العملُ وأرسل إلى الوزارة مكتوبا بالآلة الرّاقنة.

- «**لهجات الفصحى القديمة في كتب التفسير وفي المعاجم**» أنجز مرقونا وأرسل إلى الوزارة.

- **– منذ سنة 2000** وفي نطاق مخبر اللّسانيّات الذي ما زلت أشرف عليه:

-

- «**اللّغة العربيّة الفصحى بين المعاجم القديمة وبين المؤلّفات التشريحيّة القديمة والمعاصرة**»، رقمه: U23O1/11/ 2003 .

- « **بين البلاغتين العربيّة والفرنسيّة** «: دراسة معجميّة تحليليّة تقابليّة. رقمه: 50 11200600 U0

ترمي الدراسة إلى تكوين أساتذة لتدريس البلاغة بأفق أوسع. أنجز منه جزء وتوقّف العمل، ثمّ تابعتُه متابعة حرّة وبلغتُ الصفحة 400.

- «**تعليم اللّغة العربيّة في المرحلة الأساسيّة الثانية**»: دراسة نظريّة تطبيقيّة تقويميّة (في نطاق مشاريع البحث الوطنيّة PNR). قُبِلُ سنة 2010 وهو قيد الإنجاز.

مناقشة الرسائل :

ناقشتُ ما يربو على المئتي (200) رسالة ماجستير ودكتوراه دولة في الجامعات الوطنيّة وفي جامعة السوربون.

الإشراف على الرسائل :

أشرفت على ما يناهز الخمسين رسالة نوقشت كلّها؛ غير أنّني أكتفي بما استطعت توثيقه، وهو التّالي :

- 27 رسالة ماجستير.

- 10 رسائل دكتوراه دولة.

الأعمال العلميّة :

1- الكتب :

- **ديوان ابن سنان الخفاجيّ** : حقّقه وشرحه **مختار الأحمدي نويوات ونسيب نشّاوي** (توفّي المرحوم نشّاوي بعد إنجاز ثلث العمل فتابعته إلى النهاية) ، 725 صفحة، من مطبوعات مجمع اللّغة العربيّة بدمشق 1428/2007 .

- **العامّيّة الجزائريّة وصلتها بالفصحى** — مشروع دراسة لسانيّة للدّارجة في منطقة الزيبان -بسكرة، تحرير **مختار نويوات** و**محمّد خان**، 349 صفحة، الط. الأولى 2005. طبعة شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع ، عين مليلة.

- **تعريب مصطلحات « التشريح الطّبوغافيّ ثلاثيّ اللّغات « للأستاذ عبد الحفيظ الحلايدي** بجامعة الرّباط، 2088 صفحة في مجلّدين، (شاركت في تعريب

المصطلحات مع ثلّة من أساتذة الأقطار العربيّة)، طبع بالرّباط. تراجع مقدّمة الكتاب).

- **الأساس في مصطلحات علم التشريح** (معجم عربيّ فرنسيّ أنجليزي)، 287 صفحة. تأليف **مختار نويوات،** منشورات مخبر اللّسانيّات واللّغة العربيّة. طبعة المعارف بعنّابة.

- **مصطلحات في علمي التشريح والفزيولوجيا (فرنسيّ عربيّ)، ترجمة مختار نويوات،** 314 صفحة من مطبوعات مكتب التعريب بكلّيّة الطّبّ، جامعة باجي مختار، عنّابة 2011.

2. المقالات :

بصفتي رئيسا لتحرير مجلّة «**اللّغة العربيّة**» التي ينشرها **المجلس الأعلى للّغة العربيّة** حرّرتُ **عشرين مقالة** بعنوان كلمة **رئيس التّحرير** ومقالات أخرى نشرت بالمجلّة نفسها منها:

– اللّغة العربيّة واستيعاب الثقافات (العدد السادس : ص 41-62).

- اللّغة والمحيط لأدوارد سابير : ترجمة مختار نويوات (العدد الثّامن ص 11-31) .

- مشكلة تعلّم اللّغة وتعليمها (العدد التّاسع ص 35-60).

- الدكتور أبو العيد دودو : نبذة وجيزة عن حياته وآثاره العدد الحادي عشر: ص 75- 94).

- الإبراهيميّ مربّي الأجيال وخادم اللّغة العربيّة (عدد خاصّ بذكراه ص 159-176).

ونشرت في الموسوعة العربيّة في نطاق الأليسكو المداخل التالية :

- ابن إياس
- ابن خالويه
- ابن شُقيْر
- أبو الطيّب اللّغويّ
- أبو عليّ القاليّ
- أبو محمّد السيرافيّ
- الصّفأر البطليوسيّ
- اللّحيانيّ

3. المقالات المنشورة بالخارج :

- La vie d'al Sayyid al-Himyarî, poête chiite du IIe / VIIIe siècle, Revue des Etudes Islamiques, XLVIII, Fascicule 1, pp. 51-98, 1980 Geuthner , Paris

- Le problème de la précellence dans les premiers temps de l'Islam chez le poête al-Sayyiid al-himyarî, Revue des Etudes Islamiques, LV-LVII, Fascicule I, 1987-1989, pp . 129-180 , Geuthner, Paris.

4. الأعمال الجاهزة والتي لم تنشر

أذكرها لمجرّد الاستئناس:

- ترجمة أطروحة دكتوراه دولة بعنوان «**الوزارة العبّاسيّة**» للمستشرق دومينيك سورديل، (مجلّدان). ترجمتها لأهمّيّتها.

- دراسة كتاب «**زجر النّابح**» للمعريّ، اكتُشِف بلندن. وهو ردٌّ على من رماه بالزندقة.

- الأمثال العاميّة وما يقابلها من الأمثال الفصيحة والشعر العربيّ (2500 مثلا).

"لسـت مـن الذيـن يتنكـرون لأسـاتذتهم ولا يذكـرون إلا عيوبهـم، فلهـم علـي فضـل كبيـر، ولسـت ممـن لا يعجـب بـالأدب العربـي قديمـه وحديثـه بـل أفضّلـه علـى كل أدب.. إنمـا أهيبُ بالمسـؤولين عـن العمليـة التربويـة أن يهتمـوا بالأولويـات ويبسـطوا التعليـم ويتدرجـوا مـن السـهل إلـى الصعـب، وأن يجعلـوا اللغـة ممارسـة لا حشـوَ أدمغـةٍ بمـا لا غنـاء فيـه، كمـا أهيـب بالصحفييـن أن لا يجعلـوا اللغـة النيـرة تابعـة لشـعب يـزري بهـا وبنفسـه..".

مختار نويوات

مختار نويوات
القيمة والقامة والمقام

بقلم: أ. عزالدين ميهوبي

حين تداولنا في أمر تكريم الأستاذ الدّكتور مختار نويوات، في ذكرى اليوم العالمي للغة العربيّة، أجمع كلّ الذين شاركوا في جلسة إبداء الرأي، على أنّ تكريمه فرضٌ وواجب. فهذا الرّجل الزاهدُ في الأضواء، المستكين للهدوء، لا يجد وقتًا لغير العلم، إذ أنّه كرّس جهوده للبحث والتدريس والإشراف العلمي على الطلبة والأكاديميين، وقلنا ماذا لو بادر المجلس الأعلى للغة العربيّة إلى إضافة لبنة أخرى لرصيد الأستاذ نويوات بإصدار كتاب يستفيدُ منه عموم المهتمّين بشؤون العربيّة وما ارتبط بها، والأدب وما يدور في فلكه، وسيّر الأعلام وما حوته من معلومات مفيدة، واقترحنا أن يكون عنوان الكتاب المتضمّن مقالات وافتتاحيات نُشرات في فترات متفاوتة «عن اللسان وفي البيان» وهي عصارة تعامله والتزامه الدائمين مع المجلس، وحرصه الكبير في أن تظلّ هذه

الهيئة مثابة للمنافحين عن لغة الضّاد، والمدافعين عن الهويّة الوطنيّة، والسّاعين إلى حماية المجتمع من الهجنة والرّطانة والانفلات اللساني..

والحقيقة أننا لن نغالي إذا قلنا في غير اعتداد إنّ كلّ فكرة يتضمنّها مقالٌ أو افتتاحية للأستاذ نويوات، هي عبارة عن مشروع كتاب مختزل في كلمات، فالرّجل يمتلك حسّ إنتاج «العصير» الفكري، وتركيز الرؤية في عدد قليل من الجُمل، دون أن يُشعرك بالملل، ثم إنّ الكمّ الهائل من المعلومات التي يستقيها من مصادر عديدة، ومن اجتهاد قلّ نظيره، يجعل المقال منجزًا وفق معمار هندسيّ بديع، إذ يختار لكل فكرة ما يشتهي من ألفاظ، ولا يسعى إلى تنطّع أو دوران على الذات، كمن يدور بحبل على جبل، ليقول لك «كم السّاعة الآن؟»..

كلمتي في هذا المقام الذي نكرّم فيها قامة علميّة كبيرة، ذات قيمة إنسانيّة عاليّة، أستعيرها من مقدّمة كتابه المرجع، التي تشرّفتُ بكتابتها، والذي صدر منذ أشهر قليلة بعد أن ظلّ حبيس مكتبته العامرة، وأعني به «البلاغة العربيّة في ضوء البلاغات المعاصرة». كتبتُ:

حدث هذا في خريف 1975، بثانويّة الشهيد محمّد قيرواني بسطيف. وكنتُ حينها على مقاعد الدّراسة.

كنتُ شاهدًا على هذا الرّجل الذي لا يمكن لي أن أنسى له ذلك الموقف الذي حملني من عاشق للغة والشعر إلى ممارس للكتابة فيهما.. إذ كانت تلك اللحظة فارقة في حياتي، بقليل من الكلمات حرّك في نفسي شهوة الكتابة.. فكتبتُ.

..دخل يومها القسمَ بخطى وئيدة، على قسمات وجهه ذي البشرة القمحيّة ابتسامة هادئة، واختار كرسيّا في آخر القاعة. يتأمّل أستاذ مادّة اللغة العربيّة، فلا يقاطعه إذا رأى حاجة لتوضيح، ولا ينهره إلاّ إذا لاحظ انفلاتًا في المعنى، وكنّا كالحجارة، لا نبدي حركة، وكأنّنا ملائكة في تلك السّاعة.

لم يبق من زمن الدّرس سوى ربع ساعة، حين التفتنا إلى الرجل الجالس في آخر القسم، وهو يتقدّم نحو السبّورة، فيشكر الأستاذ الذي كان يتصبّبُ عرقًا، ويدعوه إلى أن يجلس مكانه، ثم كتب بيتين من الشعر بالصيغة التالية:

إذا كنتَ في حاجة مرسلاً
وأنـتَ بـها كـلفٌ مغرمُ
فأرسل حكيمًا ولا توصه
وذاك الحكيم هـو...

وأبقى على الكلمة الأخيرة من شطر البيت الثاني مبهمة، وسألنا «من يعرف الكلمة فله منّي أكثر من درهم. خمسة

دنانير».. وهو مبلغٌ يفي بأغراض كثيرة إذّاك. فنطقت الحجارة، وصار كلّ واحد من التلاميذ يعرض كلمة على هواه، وهو يكتفي بكلمة «خطأ» أو «غير صحيح».. ثمّ يقول بعد أن أدرك عجز التلاميذ «من يعرف الكلمة سيأخذ ضعف المبلغ»، فترتفع أصوات الملائكة عاليّا، وهو يقول «لا.. أخطأت»، بينما كنتُ أحفر في معنى البيت لأعرف سرّ الكلمة الغائبة.. وسألتُ نفسي حينها «لماذ يصرّ الرجل على أن يمنح من يعرف الكلمة كلّ هذا المبلغ..»، ورفعتُ إصبعي، فأشار إليّ بأن أجيب، فقرأتُ البيتين كاملين:

إذا كنتَ في حاجة مرسلاً
وأنتَ بها كلفٌ مغرمُ
فأرسل حكيمًا ولا توصه
وذاك الحكيم هو الدّرهمُ

فصفّق الرّجل، وصفّق معه من في القسم، وجاءني ضاحكًا، بعد أن أخرج من جيبه الدنانير العشرة، وهو يقول لي «أحسنت.. هذا حقّك. لكن كيف عرفتَ هذا؟» قلت له «يا أستاذ.. فهمتُ معنى البيتين وزدتُ عليهما حرصك على كلمة درهم.. ثمّ إنّني أحاول كتابة الشّعر». ربتَ على كتفي كأبٍ مفعم بالمحبّة، وقال لي «واصل ولا تتوقف.. فأمامكَ

عمرٌ من الشعر إنْ كتبت.. ومن الدّراهم إن تعبتْ». وأطلق ضحكة إعجاب أمام دهشة زملائي الذين اقتسموا معي تلك الدنانير وكأنّ لسان حالهم يقول «بعد أن أتعبْنَا نحنُ معجم اللغة أجهزتَ أنتَ على ما تبقّى منها»..ولم أنم ليلتي تلك، لأنّ الرّجل ألقى في نفسي نبوءة نابعة من حُذاق وفطنة.

لم يكن ذلك الرجل سوى الأستاذ الدكتور مختار نويوات، وكان حينها مفتّشا لمادة الأدب واللغة العربية. ولم يحدث أن قابلته قبل ذلك الوقت.

ومرّت أسابيع على واقعة الدّرهم ليأخذني والدي إلى بيت الشيخ موسى نويوات الأحمدي، هذا العالم الموسوعي، وليلتها لم يُغمض لي جفن، ولم أصدّق أنّني أجالسُ صاحب «المتوسّط الكافي في علمي العروض والقوافي»، وهو يدعوني لأن أقرأ شيئا ممّا كتبت من شعر، فغلبني الحياء، واستحضرتُ بعض النصوص التي كتبتها خفيَة عن أعين الأهل والأصحاب، ثمّ سألني «لماذا اخترت هذا البحر وهذه التفعيلة؟ وكيف تصرّفت مع هذا الزّحاف؟..» وأنا لا أملك ردّا سوى «لا أعرف.. لأنّني أكتبُ بأذني. لا أعرف البحور ولا مكوّناتها..» فيطبع قبلة على جبيني ويقول لي «لك من اسمك نصيب.. العزّ والموهبة». وحين أخبرته بما جرى مع

ابنه الأكبر مختار، راح يكلّمني عنه وعن علاقته بالأدب واللغة وحبّه للتراث، ثمّ عرّج نحو ابنه الآخر الديبلوماسي والمستشار سعد الدّين الذي يملك مهارات غير مسبوقة في التعاطي مع اللغة وقرض الشعر.. وهو ما وقفتُ عليه بعد سنوات من العشرة الصّادقة والألفة الطيّبة..

قابلتُه طفلاً يافعًا قبل أربعين عامًا، لأجده واحدًا من أعمدة وخبراء المجلس الأعلى للغة العربيّة الذي تشرفتُ برئاسته، مشرفًا على مجلّة «اللغة العربيّة» ومُساهمًا فيها بمقالات عميقة المعنى والمبنى.

إنّ هذا الرجل العالِم المعلّم، الدّارس المدرّس، الخادم أمّته في صمت، الواقفُ في جبهة المعرفة، متأبطًا محفظته العامرة، آخذًا بأيدي عشرات الباحثين في شؤون الأدب واللغة والتراث.. لا يتعب وإن امتدّ به العمر، ولا يعتدّ بعلمه فدأبه التواضع. لا يسعى إلى رفعة وهو المكتنز علمًا ودراية، ولا يستجدي موقعًا لن يشكّل قيمة مضافة في مسيرته باحثًا أكاديميًا من طينة الكبار.. يكبر في عيون طلبته، وأصدقائه، وكلّ من قاسمه لحظة فكر أو معرفة.

يقول مختار نويوات «**لست من الذين يتنكرون لأساتذتهم ولا يذكرون إلا عيوبهم فلهم علي فضل كبير، ولست ممن**

لا يعجب بالأدب العربي قديمه وحديثه بل أفضّله على كل أدب.. إنما أهيب بالمسؤولين عن العملية التربوية أن يهتموا بالأولويات ويبسطوا التعليم ويتدرجوا من السهل إلى الصعب، وأن يجعلوا اللغة ممارسة لا حشو أدمغة بما لا غناء فيه، كما أهيب بالصحفيين أن لا يجعلوا اللغة النيرة تابعة لشعب يزري بها وبنفسه..».

ويقول في مسألة اللغة «**اكتساب اللغة لا ينحصر في تبسيط النحو وتطويره بل يتجاوز إلى اختيار المادّة اللغوية المناسبة لعصرها، المحرّرة للألسنة، الكفيلة بجعل المواطن يعرب بلغته عمّا في ضميره، وذلك معنى الإعراب في الأصل. فإذا كنّا نتقلّب في مناخ حضارّي جلّ عناصره أجنبيّة ونسمّيها بمسمّياتها التي فرضتها علينا متطلّبات الحياة والعولمة ببعض نتائجها فإنّ لساننا يبقى حبيسا ولغتنا لا تتخلّص من الهجنة. الطريق أمامنا طويل لكنّ بلوغ الهدف غير بعيد إن تضافرت الجهود**».

هو هكذا مختار نويوات، الكبير الذي اختار الصمت، الهادئ الذي تجنّب الضجيج، الطيّب الذي يختزل قيّمَ الجزائري الأصيل. وهي هكذا شجرة عائلة نويوات المباركة باللغة والإيمان والوطنيّة.

"هذه اللغة الأساس المشذّبة المهذّبة هي التي نريد أن نعلّم أبناءنا الضروريّ منها بعد إثرائه بما لا مناص منه في العصر الراهن من ألفاظ الحضارة التي يفرضها علينا واقع حياتنا بلسان ليس منا ولسنا منه. أمن الحكمة أن نعلّم الولد نصوصا وألفاظا لا تمتّ إلى واقعه بصلة وأن نسلك في ذلك مناهج عتيقة ظهرت إلى الوجود منذ أحد عشر قرنا على أقل تقدير ؟ أمن المعقول أن يعجز أحدنا عن تسمية معظم ما يباشر صباح مساء في معزله وخارج منزله وندّعي أنّ تعليمنا بخير والحمد الله وأنّنا أبناء عصرنا؟"

مختار نويوات

مختار من المفضال

أ د صالح بلعيد

المقدّمة:

ما إنْ عَهِد إليَ رئيسُ المجلسِ الأعلى للغة العربيّة الكتابةَ في مختارالنّويوات، وجدتُ نفسي خاليَ الوفاض، فلا أملك ما يُستفاض، في عالم يحتاج إلى البحث والاختيار، وهو الشيخ المختار، إلاّ أنّني تذكرتُ أنّ للأستاذ مؤلفاتٍ، ولي معه تساؤلات، وقد دوّنتُها في سِجلات، كما أنّ في عنابة رُواة،فعدتُ إلى مكتبتي، وإلى البحث في كُناشي، واستنطاق كتاباتي، والاتّصال بِرُواتي، فبدأت الكتابة،ووجدت الموضوعَ مُتعة، إلاّ أنّ به تشعّبات، ومسّته تفريعات، ولم يعد يسع الصفحةَ، وأخذ المدادُ سبيله إلى عديدِ الصفحات،ودأبي المختصرات. فماذا أقول والكلماتُ كثيرات، وماذا يُقال في محفل التّكريم؛ لشخص المختار الكريم، ولعالم الجزائر الصّريم، وقد وسمتُ الموضوعَ، بما هو من المنوال (**مختار من المفضال**). وأُحدثكم فيه أيّها الحضور، بما استنطقته من

الدّسور، بما هو من العموم، وقد يدخل في المعلوم،أحدّثكم باختصار يقتضيه المقال، في هذه الحال. أحدّثكم عن مختار المُعجميّ العالم،ومختار الفقيه الصارم، ومختار البلاغيّ الناظم،ومختار الأديب الفاهم. تجمّعت الاختصاصاتُ في شخص واحد، وتعدّدت الألوان في معجميٍّ صامد، وتتابعت البحوثُ في بلاغيّ وأديب راشد، فيا له من الجمع بين المعازم، وما أسعدني وأنا أعدّد هذه المكارم.

لقد عرفتُ الأستاذ الدكتور مختار النويوات يومَ أن كان رئيساً للجنة مناقشة عملي في الماجستير سنة 1987، ورئيساً لأطروحتي سنة 1992، وأتذكّر يومَها قال في افتتاحيّة المناقشة بجامعة مولود معمّري: يا أهلَ القبائل، رعاكُمْ اللهُ ووَقاكمْ، وقويَ تُقاكمْ، فما أضوعَ رِيّاكمْ، وأفضلَ مزاياكمْ. بلدُكم أوْفى البلادِ طُهرة، وأزكاها فِطرة، وأفسحُها رِفعة، وأمرعُها نُجعة. فيا له من وصفٍ بعين عاطف، وخفضِ جناحِ مُلاطف.ولا أنسى خلال المناقشة أنّه دغدغني في الهفوات، ولكنّي أُفِدتُ منها في التّصحيحات،فأُعْجِبْتُ بما يلقي من سَمْطِه قبل بَسْطِه، وبما يرميه لمحدّثه قبل لَكْزِه. ومع ذلك رأيتُه يسلم تسليمَ أديبٍ أريبٍ، ويحاور محاورة قريبٍ لا غريب، يفيد الحضور، ويمتع الجمهور.

وازددتُ قُرباً منه في المجلس الأعلى للغة العربيّة؛إذ عرفتُه واحداً من الستِّ وثلاثين (36) وبصرتُ في الأستاذ معرفةً إيجابيّة، وقلتُ: لقد كان حظُّ المجلس أن يكون مختارُ أحدَ أعضائه، فوجدتُ قلمَه لسانَ حالِ مجلةِ المجلس، وفارسَ الافتتاحيّة المُؤنس، فلم يكن يتخطّى المرامي، ولا يُخطئ في المرامي، ولا أُخفي عليكم بأنّي أتلهّف لمجيئه؛ من أجل سُؤله وإمدادي بأفكاره ونوادره، وكنتُ أجلس لاغتنام كلامه، والتِهام ما بحضرته، وأستمتعُ لِما يُسفر عن آدابه، ويُطلق لمحلّه، وكلّما ألتقيه، يلقي عليَ مختلف الأمالي، وأدوّنها في كُناشي، فوجدتُه عالماً يصدعُ بعلم يَشفي الصّدور، ويَلين الصّخور فسمعتُه يقول: اقتلوا البحث بالتّحرّي، ولا تَصدعوا بالتّمني، ويكون همُّكُم قولَ الحلاج:

اقتلوني يا ثُقاتي

إنّ في قتلي حياتي

وخلال هذا الزّمن،صاحبتُ هذا الوجهَ البدريَ، والأصل النّقيّ، وقدّرتُ فيه إخلاصَه وتفانيَه، وولعَه بالتّجربة،بما لا يقلّ عن إيمانه بالعقلنة، يقرّ بها لأنّها سبيلُ كسبِ المعلومات، والكشفُ عن حقيقة المواصفات، فوجدتُه مُولَعاً بالمنهج العلميّ، والأداء العفويّ. وقد التقت هذه الخصال في رجل

عملُه في صُمْت، وتعاونُه في صِدْق، وحكمتُه في وَسْط. وها هو الأستاذ مختار يأخذ مكانه اليوم في الصّومعة الخالدة،لنقدّم له الولاء والشّهادة، وفي يوم هذا المحفل والاحتفال، أراني الجالسَ للإسجال، وأقول فيه الكلام الممدود، قبل أن نقلّده نياشينَ الخُلود، بما قدّم للبحث من فكّ القيود، فهو كبير العلماء، ولم يكن من النّدماء، فما رأيته قد مالَ، إلى حيث يُكسب المالُ، وهذه سمّة العظماء، فأكرم بها يا شيخَ البلغاء.

أيها العالِمُ النّجيب: لقد عَهِدْناك عالِماً وعَلَماً ولا تزال، وستبقى مكتبةً سهلةَ المنال، فمن أعمالك ننال، فأكرم به من عالم منه ننهال، فأنتَ مفتاحُ العلوم، وعلمُك ليس من المعدوم. الأستاذ الدكتور مختار النويوات أحدُ شيوخِ جامعة عنابة منذ سنين، وصل القمّةَ بالضنين، وأضحى أستاذَ الأدب العربي باليقين، ولم يُفكّر في التّقاعد، ولم يحصل له التّباعد، بل بقي في الصفوف يُعِدّ الرجالَ، وأوْقفَ حياتَه باحثاً عن الأفعال، ويقوم على صناعة المعاجم، ويرتّب المداخل في القواسم، وإذا أردتم التّأكيدَ سيأتيكم الخبرُ أكيد، من عمليْن في الاصطلاح، وبهما جعلَ العربيةَ تُتاح:

1. الأساس في علم التّشريح ثلاثي اللّغات: عربي ـ فرنسي ـ إنجليزي.

2. مصطلحات في علميْ: التّشريح والفيزيولوجيا: عربي ـ فرنسي.

ويلمس المختصُّ الجَهدَ الواضحَ، في ما قدّمه من مصطلح واضح، في المعجميّة والمعاجميّة، وفي علم القاموسية، وفي مصطلحات التّشريح، بما هو مُريح. ويمكن أن ننتقل إلى فنّ العاميّة والعربيّة، من خلال كتابه (تأصيل العاميّة في الفصحى) فأراه حسّاساً لما يُحيط العربيّة اليومَ من بعض المُتفيقهين؛ الذين يسيؤون للعربية باليقين، وهم يريدون الانزياح عن الاستعمال، ويفتعلون ما ليس في الإعمال وإنّ العربيّة لتضيق بهم ذرعاً، وتعيش بهم هماً، والعاميّة أصلها ظريف، لكن حرّفت بفعل التّحريف فهي تحتاج إلى تجديد وإصلاح، وهذا هو المشروع المفتاح. وفي كلّ هذا وجدتُه باحثاً مُحَدِّثاً، ومُناقشاً مُستفيضاً، وله حّماس للعربية أرتضيه، وأطمئن إليه وأحتذيه. وتلتقي نظراتُنا في هذا المجال، بأنّ شبابنا يستثقلون الفصحى في كلّ المحال، ويبعدون عنها عاماً بعد عام، ويتخلّون عن كلّ هامّ، وعلينا أن نُحبّبهم فيها، وأن نُقرّبهم إليها؛ فنعملَ على إزالة الصّعاب، وإلا فقدنا الجولةَ

والأتعاب،وانقطع بنا الطّريق، دون أن يكون لنا رفيق، ولا نزاعَ بيننا في أنّ النّحو لغير المتخصّصين ليس علماً يُقصد لذاته، وإنّما هو وسيلة من وسائل تقويم القلم واللّسان بذاته، ونلتقي في أنّ لا فائدةَ من وراء الأفكار المُتشعبّة، والاستثناءات الكثيرة، والألغاز النّحويّة.

مرّةً أخرى؛ اسمحوا لي لأستفيض، وأقول ما هو وميض، فالشّيخ مختار يؤمن كلَّ الإيمان، بأن العربيّةَ لغةُ علمٍ وحضارةٍ بامتهان، وإنّها حيّةٌ بمقاييس الرّهان، وفي وسعها أن تسدَّ حاجاتِ العصر وكان على أصحابها رِفدَها في كلّ مِصْر. والشّيخ دائماً يقول: إنّ العربيّة منبعُ قوتنا وشخصيتنا ووَحْدَتُنا، ولغةٌ عزّتنا، وتصلح للتّعبير عن كلّ مستجد، ولكلّ أوضاع العِلْم المُسترد. وأنا الطّالب البسيط، أعوّل على الشّيخ الوسيط، في علمه الغزير، وفي توجيهه المنير، على أن يعضدَني بالأفكار وسأسير على هديه دون أنوار، وقد عهدتُ فيه العمل على حماية اللّغة العربية متناً وأسلوباً،وهو ضليع رِواية وإِسناداً، وأعرف أنّه من شيوخها الفحول، ومن العاملين على شرح الأصول، حسب مقتضيات الفروع، وبما يقتضيه فصلُ الجذوع.

إخواني: لقد وجدتُ الباحثَ مختار جاداً في التّحقيق، وفي إقامة النّصوص بالتّدقيق،وباعتماد منهج يليق، منهجٌ يرتكز

على التّاريخ ارتكازاً، فيستوعب المراجعَ مكنازاً، ويستخلص منها أوثـقَ المعلومات وأصـحَّ الكلمات، ويُثبّت الآراءَ المختلفات، مُرجّحاً الأفكارَ المؤتلفات، ومحاولاً الفصلَ في أدقّ المواقف وأعقدها، وتقديم البدائل بأفضلها. مختار العالِم المُحقّق على نسق الزّجاجي، وعلى منهجٍ علميّ حِجاجي، وهذا ما لمسته في تحقيقه وشرحه ديوان ابن سنان الخفاجي. كما وجدتُه عالِماً مُنظراً،وفي علوم البلاغة مُسطّراً، وهذا من خلال كتابه (البلاغة العربيّة في ضوء البلاغات المعاصرة) حيث سنّ في الكتابة والتّعبير لوناً من الأداء الفنّي؛ حاكاه فيه كثيرٌ من الأساتذة بما هو أصلي، وزاد اتّصالُه بهم وثوقاً على مرّ الزّمان،فأضحى مرجعيّة بكلّ أمان؛ حيث استوقفَ الأساليبَ المِلاح،وصَعّر من البنيان وساح. مختار الأستاذُ الأبُ، مختار للطّلاب وللتّطلاب؛ يتسابق عليه الطّلابُ للإشراف، ولا يرفض واحداً بالاعتراف؛ بل يُشمِل الجميعَ بكرمه، ويُفيض لهم من جوده، كما يُعطي لكلّ ذي حقّه ويُقدّر لكلّ ذي عامل عملَه. مختار المشرف يقوم على خدمة طُلابه بالإشراف والتّوجيه، والرّعاية والتّنويه، مختار يشدّ على أيديهم، ويكفكف من توجّسهم وتردّدهم، ويبثّ الأمل والطمأنينة في صدروهم. فأنعمْ به من مشرفٍ يحمل الشّأن العامّ، ويؤثر غيره من الأنام.

مختار صاحب الموسوعيّة، أو ويكيبيديا الشّموليّة، يكشف عن جوانب الاغتراف، من منبع أبيه بلا خلاف، وقد يكون هذا استجابة لوالده المرحوم موسى الأحمدي، الذي زرع فيه حبَّ الحفظ والرّواية بشكل أبدي، كما حبّب إليه متعة القراءة،حتى كان له باع في الدّراية، فهذا من شِيَم العائلة العالمة ومن أهل الخصال الخالدة. مختار شبيهٌ أباه في الإحاطة، ومن شبَّه أباه كانت له الإنابة، فهو لم يُعارض أباه، في ما قاله وحباه، بل كان يجسد ما وصّاه، ويردّد عليه قول الشاعر:

لا تقعدّن على ضرٍ ومَسغبة

لكي يُقالَ عزيزُ النفسِ مُصطبرُ

مختار الإنسانيّ، لا تنقطع عنده الشّعرة الأولى، وإن يئس منها أحلّ محلّها الشعرةَ الأخرى، مختار الحافظ الذّكي،فسُميَ بأبي جعفر المنصور الجزائري، يسمع القصيدةَ مرّة واحدة فترسخ، وعنده تُستعاد قبل أن تُنسخ. ولكن هناك من الرّواة من قال: مختار لم نجد له الكُتب، فقلت: نجد له من ألّف الكُتب فهو مُقلّ جاد، وقد ترك الخليل ما هو ساد، وهل ترك De Saussure أثراً، ولكنّه ترك أمراً، أضحى نظرية في اللّسانيات، ومسّ هذا العلم الحاسوبيات، ويشهد

لهما التّاريخ، وما مسّهم التّوبيخ، فكلاهما تركا مُريدين؛ جمعوا الأمالي من الميادين، وأضحت أماليهما مصادر، بل أصبحت للعلم منائر، فالعبرة في أهميّة المتروك، لا في عدّ المكتوب المهلوك، فمختار من هذا النّوع، فكتاب له يسدّ الجوع، أفضل من كتب لا تردّ العوز، ولا تنال الفوز،وأعرف أنّ في مكتبه تراثا جديرا بالنّشر، ومحاضرات تنتظر اليُسر، وخطب سيّارة لم تُقيّد، ومقالات علمية لم تُسند،وما هو في الراس، أكثر مما هو في الكراس فأين الطّلابُ المريديون، وأين المستفيدون؟

وقبل أن أختم كلامي، أودّ أن أنقل لكم بعض تساؤلاتي، وقد سألتُه ذات يوم: يا شيخي أحسّ أنّك تهوي علمَ الكلام، وأجد في كتاباتك ما يميل إلى عِلم الأحكام، فقال: إنّي قرأتُ علمَ الأصول، وما كتبه علماءُ الكلام في الفقه الأكبر، وما يجاوره من علم التّوحيد الأصغر، وقلت: إنّي لأجد هذا الكلام في أقوال أبي حنيفة في الاعتقاديات، وذلك ما يستعملها للانتقال إلى العمليات، وقف الشّيخ وقال: إنّي درستُ الفلسفةَ، وما كتبه المناطقة، وقد تأثّرتُ بالأشاعرة. وقلتُ: إنّي لمستُ في أعمالك ما يشير إلى طاعة الأحكام العمليّة، بوجود الأسباب النّظريّة، فقال: هذا علم الكلام يا

صاحبي. وقلت: زِدْني يا شيخي توضيحاً، فقال: إذا كان هدفُ المبحوث ذاتاً كان فِقْهاً، وإذا كان هدف المبحوث دعما للأحكام كان كلاماً، وهذا ما فصّل فيه الفارابي، وزكّاه أبو حيّان التّوحيدي. وسألتُه ذات مرّة: أيُّ مؤلفاتِك أفضلُ؟ فقال: أجيبك بجواب فاطمةِ بنتِ الخُرَشْب: «هم أولادي كالحَلْقَة المُفرَغَة، لا يُدرى أين طَرَفاها ولكنّ صغيرَهم حتى يكبرَ، وغائبَهم حتى يحضرَ، ومريضَهم حتى يبرأَ». هم أولادي وأحفادي، فكيف يقعُ التّفضيلُ بين أصلابي؟

الخاتمة:

إخواني: أخشى بهذا العَرْض السّريع، والتّعريف السّطحي الوقيع، أن أكونَ قد أسأتُ للمكرّم وللحضور، فاغفروا لي هَنَاتي، ولا تسيؤوا الظنَّ بأخطائي، فما قلتُه مجرّد تدوين وتسجيل لأفكار اسْطعتُ تعقيلَ بعضِها، وتداخلتْ منّي الكلماتُ في بعضِها، وقد جمعتُ جهودَ مختار الباحث، جهودَ مختار الوارث. وأضيف لأقول: إنّها جهود كفاح، كفاح سنين لا براح، مُذ أن كان ممرّناً ومُعلماً،حتى أصبح مُشرفاً، كفاح في الإعداد والتّكوين،كفاح في البذل والعطاء والتّمهين، كفاح باحثٍ تعدّدت أغراضُه وألوانُه، وتنوّعتْ سبلُه،

وكفاح في فكّ الأغلال، وفي تحكيم العقل للاعتدال. فهو من الدّاعين إلى البحث والتّحريّ، بل إلى الشكّ والتّقصيّ، وقد راهنَ على المنهج النّقديّ.

إخواني الكرام: بهذه الخصال الحميدة، وبالأفعال السّديدة، وما يقترحه من الآراء الجديدة، حظيَ مختارُ باحترام الباحثين، وبخاصةٍ الجامعيّين. فباحثو جامعتيْ: عنابة وبسكرة، ينهالون من نبع مختار الذي لا يَختار، بل يُختار،ومن خلال كلّ هذا حَقّ عليَ أن أُسمّيَه غوغل Google الجزائر؛ لكثرة ما يحمله من المعلومات، وهو يختلف عن گوگل الأمريكي في دقّته ورعايته، وفي حرصه على توثيق المعلومة. ويختلف عن محرّك ياهو Yahoo العملاق، الذي يمدّنا بما هو ترياق، يمدّاننا بالمطلوب على السّريع ومختار من هذا النّوع الرّفيع. دون الحديث عن تمكّنه القويّ، في الثّقافة الفرنسيّة بما هو غنيّ، فتجري فيه الفرنسيّة سريعاً، وينتقل بين اللّغتيْن رجيعاً.

هذا باختصار ما أمكنني الوقتُ قولَه، وهذا هو شيخُنا المختار، لا ريبَ فيه، ولا لُبسَ يُخفيه، وما قلتُه شهادةٌ على التّحقيق في هذا الصّديق، الذي أصبح من الرّفيق، فقد سَحَرَتني بلاغتُه، وحُسنُ صياغتِه فأكرِمْ به من عالمٍ كبير، ومنّي لك يا أستاذي كلُّ التّقدير، وأرجو أن تبقى مُرشدي

في أبحاثي وتسائيلي. فيا أستاذي مختار، أنتَ من الأخيار، أدامَكَ اللهُ للبحث العلميّ، وأبقاك ذُخراً للمجلس العالي، فأطال اللهُ عُمْرَك، وأدام عِزَّكَ.

إخواني: أستودعُكم المَوْلى الذي ما تولّى، وعسى أنّ كلَّ المَرامي لكم ستُقضى، بما سوف يَرْضَى واللهَ نسألُ الدّوامَ على الاستقرار، بما يُبعد عن بلدنا الاستنفار، ليبقى في هذا البلد مَرْتَعُ، ولا يكون في أهلها مَطْمَعُ. وأشكرُ لكم استماعَكُم، والسلامُ على من يرعاكم، وعلى من دعاكم.

الرجـــــــل

عبد الجليل مرتاض
(جامعة تلمسان)

قَدْ يهون عليك أن تكتب شيئاً أو تقترب من ذلك اقتراباً ما، إذا لم تَدْعُكَ مناسبة مباشرة إلى ذلك، وتُلِحَّ عليك إلحاحاً، ويصعب عليك أي نمط من الكتابة حين ترُومها أنت، وبطيبة خاطرك، رَوْماً، وتنجذب إليها على رُغْم أنفك من أعماق سريرتك انجذاباً لا يحرمك ولا يسترك إذا ما شئت أن تَسْتَسِرّ اسْتِسْرار القمر في ليلة وضّاءة.

وقد تكون هذه الكتابة أشدّ عوصاً وأشرس حروناً، كلما شعرت بجرة قلمِك تسْلُك بك طريقاً غير مسلوك، وتَهُمّ بك دون أن تهُمّ بها، وفي نفسك شيء من ذلك لا يخلو من تصنّع ومكابرة أجوفيْن لا تأمن وفاءهما الأبدي، ليكشفاك لاحقاً دون أن تجد وليّاً ولا نصيراً إلا ما انبجس من قطرات مدادك من أصوات وكلمات لا تأمن جانبها من أن تكون لك أو عليك.

لماذا هذه الديباجة التي قد يراها قارئها أو يفهمها سامعها أنها أقرب إلى هواجس رومانسية منها إلى أفكار معبِّرة؟ وإذا كان لكل شأن يغنيه، فإن من سبق له أن حبَّر كلمات عن غيره أو زخرف ألفاظا عن نفسه ليُدْرك تمام الإدراك معي فحوى هذه الديباجة التي تبدو، كما يقول دارسو الرواية والقصة، ذات سرد متقدّم، وربما كان من الأوْلَى أن تكون ذات سرد تابع أو آنيّ على الأقل باعتبار المتحدث عنه بطلاً معروفاً لعامة الناس وخاصتهم، وكل ما أقوله إني أجد نفسي سارداً ليس غريباً كل الغرابة عن القص والحكاية، وكيف لا يكون الأمر إلا كذلك، وأنا أحس إحساساً فياضاً ينبوع كلماتي من وظيفة استشهادية fonction testimoniale دون قدرة مني لأكبح في كل حال، فرامل انطباعيَّتي، بل وانجرافي أحياناً؟

أجل، الحديث عن أستاذ عظيم، وصديق حميم لا يختلف كثير اختلاف عن أي حديث عن «الأنا»، ومن حسن حظي هنا أنه لا يساغ الخطاب إلا بتوظيف الضمير الثالث الغائب الذي لا يعنيه بصورة مباشرة ما يسند إلى ضميري المتكلم والمخاطب من وظائف وأدوار، هذه الصعوبة يعرف ثِقَلَهَا مَنْ سبق له أن درس أو كتب سيرة ذاتية.

حمداً لله ! أنا الآن في أمان وسلام، بما أنه لا المتكلم

ولا المخاطب يحرجني أو يقلقني، أما الغائب فهو اليوم في شأن يغنيه عما يقال وعما لا يقال بخصوصه.

لا تصدّقوني، أرجوكم، سأحاول أن أكتسح حواجز وأبعاد هذه الضمائر الثلاثة مجتمعةً. أتعرفون لماذا؟ أشعر شعوراً أخوياً وعائلياً صادقين متصافييْن بأني ألفي هذه الكلمات كأنما تتحدث عن نفسي، وما أسهل الإدلاء، بصوت عالٍ عن غيرك، وما أصعبه وأنت تدلي به عن نفسك ! ولكن رحم الله القائل: «اللِّي تَعْرَفْ بَّاهْ مَا تْخَافْشْ مْوَلْدُو»:

ولَــنْ يُــرَاجِــع قلبي وُدَّهُـــمْ أبــداً
زَكِنْتُ مِنْهمْ على مِثْلِ الـذي زَكِنُوا

أجل أيتها السيدات، أيها السادة ! سبق لي في إطار انعقاد ملتقيات وطنيَّة في عَرُوس المدن الجزائرية، أعني مدينة برج بوعريريج:

إذْ كِدْتُ أُنْكَرُ مِنْ سَلْمَى فقُلْتُ لَهَا
لَمَّا الْتَقَيْنَا وَمَا بالعَهْدِ مِنْ قِدَمِ
عَمَّرْتُكِ اللهَ إلاَّ مَا ذَكَرْتِ لَنَا
هَلْ كُنْتِ جَارَتَنَا أيَّامَ ذِي سَلَمٍ؟
هُمْ خَيْرُ سَكَّانِ هذي الأرضِ نَعْلَمُهُمْ
لوْ كان يُخْبِرُ عن سُكَّانِه البَلَدُ

يَبْقَى التُّقَى والغِنَى في الناسِ مَا عَمِرُوا
ويُـفْـقَـدَانِ جَميعاً إنْ هُـمُ فُـقِـدُوا
ســلامُ الـلـهِ يَـا مَـطَـرٌ عليها
ولـيـس عـليـكَ يـا مَـطَـرُ الـسَّـلاَمُ

أنْ قدّمت أكثر من مداخلة خَصَصْت بها العلّامة الأجلّ موسى الأحمدي نويوات وغيره من بعض علماء المنطقة مِثْل العلاّمة النِّحرير عمر أبي حفص الزمّوري. ورغم شحّ المراجع وقلّة الشهادات الحية والعيانية، فإني لم أشعر بسأم ولا نصَب، لم أتشرَّف بمباركتهما، ولكنّي شُرِّفْت أيَّما تشريف بآثارهما العلمية التي أذهلتني في دقّتها استيفاء واستيعابا لِمَا تقدم قبلهما بقرون خلت عبر جهود لسانية عربية أصيلة لا يمطو مَطْوَها، ويَسْبُر مجاهِلها ومعالِمها إلا باحثٌ عصاميّ أصيل ذو مكنة ونباهة:

بــادُوا وآثـارُهــمْ فـي الأرضِ بـاقِـيَـةٌ
تِـلْـكُـمْ معالْمُـهُـمْ في الـنـاس لَـمْ تَـرِمِ

وإذا ما أبْنا إلى مكرَّمنا الشيخ مختار نويوات، فإني أصمّ سمعي، وأرخي جفني، حتى لا أُسْمِعَ شيخي ولا أُبْصِرَه:

مَتَى ما أَقُـلْ في آخِـر الـدَّهْـرِ مِدْحةً
فَـمَـا هي إِلَّا لابْــنِ لَـيْـلَـى الـمُـكـرَّمِ

وَمَا مَدَحْتُ سِوَى ابن الأحمديِّ وَمَا
عِنْدي لآخَرَ غَيْرِ الأحمديّ يَدُ
إذا اجْتَهَدْتُ لِيُحْصِي مَجْدَهُمْ مَدْحِي
لمْ أَعْشُرِ المجْدَ منهمْ حين أجْتَهِدُ

ما من أحد عرف شيخنا المكرَّم إلا وقد عرفه لغوياً ضليعاً، وأديباً بارعاً، وناقِداً متبوعاً لا تابعاً، وقارئاً نهماً خاشعاً، لا يحكم على ما يقرع وقره طاعناً ولا شافِعاً، ولا يبدي فيما خُولِف فيه رأياً قاطعاً ولا نقداً لاذِعاً،... هو العلاّمة الحجة، وهو الطُّلَعَة الخُبأَة، وهو الموسوعيّ الذي يكتنز أكثر من عدَّة، وهو سيّد هذا العصر الذي يصمت فيه أكثر مما ينطق، وإذا ما التفت أو دُعِيَ إلى مائدة علمية تراه أفصح من سحبان، وأمضى من سِنَان، آبياً إلاَّ أنْ يأتي كل مسألة من مَأتاها ومَبْغَاها. رجلٌ إذا تَوِيَ مالُه بقي علمه، وإذا طال غيابه ناب منابَهُ تَعْلِيمُه، وإذا بَخِل قِمَطْرُه جاد صوْته:

لا خَيْرَ فيما حَوَتِ القِمَطْرُ

الشيخ مُختار نُوَيوات من الرجالات، الذي عرفته قبل أن أعرفه، وأحببته قبل أن ألمحه، وشُغِفت به شغفا سكن غشاء كل تريبة من ترائبي، أينما أَمَّمْت أو حلَلْت لا تسمع عنه إلا أخباراً طيبة، وطرفا لطيفة، غير أن ما لمسته فيه عن قرب

بعدما جمع بنا جامع المجلس الأعلى للغة العربية ذات صباح من سنة ثمانٍ وتسعين وتسعمائة وألف.

ولمَّا كان من طبعي غالباً الانطواء تارة، والكبت أحياناً، فإني اجتزأت بالتحية من بعيد، والإصغاء لِمَا كان يُتَدَاوَل بينه وبين ثلَّة من الأعضاء الذين كانوا يبدون لنا قبل ستة عشر عاماً أكبر منا سِنّاً، من طُرَف وفُكاهات أدبية وشعبية، وإذا ما غرّتني جرأة وجدتني أتفاعل معهم تبسّماً على استيحاء.

بيد أن ظروفاً حدثت تمثَّلت فيما أُسْنِد إليَّ من نشاطات داخل المجلس، جعلتني أقترب منه أكثر فأكثر، وأتفتّح معه أزيدَ فأزيدَ، فاكتشفت في أستاذنا أخلاقاً نبيلة، وحياء شديداً:

لَمْ تَرَهُ جَارَةٌ يمشي بساحَتِها
لريبةٍ حين يُخْلِي بيْتَهُ الجار

وكرماً حاتمياً أصيلاً ولداً عن والدٍ:

ولا تراه وما في البيْت يأكُلُه
لكنّه بارزٌ بالصَحنِ مِهْمارُ
ومُطْعِمُ القومِ شحماً عند مَسْغَبِهِمْ
وفي الجُدُوبِ كريمُ الجَدّ مِيسَارُ
جَهْمُ المُحَيَّا تُضِيء اللَّيْلْ صُورَتُهُ
آباؤه مِنْ طُولِ السَّمْكِ أَحْرَارُ

فَــرْعٌ لـفـرعٍ كـريـمٍ غَـيْـرِ مُـؤْتَـشَـبٍ
جَـلْـدُ الـمـريـرةِ عـنـد الـجـمـع فَخَّارُ

كما عرفت فيه إنساناً وَقُوراً:

وَقُـورٌ إذا ما الـجَـهْـلُ أَعْـجَـبَ أَهَـلَـهُ
وَمِـن خَـيـر أخـلاقِ الـرجـال وُقُـورُهـا

ما أُومِي إليه عَرَضاً يوحي إطلاقاً أنّ الشيخ الجليل الوقور منغلق على نفسه، وما رُزِق به من حُظْوة قلّما يحظى بها غيره أضفى على صلته بمن يعاشرونه ويخادنونه سمات قبسيَّة من التسامح والتفتح والتعالي عن صغائر الأشياء والسلوكات. هو رجل يمقت التزمّت والتَّسلُّط. وإذا اطمأنَّ جنانه، وسكن باله، وحظيت بازدلافك منه، ألفيته خليلاً وفياً، وصديقاً مسلّياً، ينساب حديثه بين جوانحك انسياب ماء عذب زلال، لا تكاد تفارقه ويفارقك إلا وقد أفدت منه نكتة أدبية، أو مسألة لغوية مستعصية بقواعدها وشواهدها، إذا حَدَّث صدق، وإذا وعد أوفى، وإذا ما غايظه فضولي غِرّ تجاهله وهو يردّد بينه وبين نفسه ما سبق لشاعرة عربية أن ردَّدَتْ:

مـا كـان ضَــرَّكَ لَـوْ مَـنَـنْـتَ وربَّـمـا
مَـنَّ الـفـتـى وهـو الـمـغـيـظُ الـمُـحْـنَـقُ

وإذا ما تأَنْسَنَ وخرج عن جده عَفْواً وطفواً لا سهواً ولا لغواً أنِسْتَ منه في سرّه ما لا يسْطِيع أن يفصح عنه في علنه، وقُدِّر لك أن تفيد من هزله بقدر ما يسترق سمعك من جِده.

ما زلت أذكر يوم دعاني إلى ملتقى وطني نظمه مخبر اللسانيات العربية الذي يديره في جامعة عنابة، كيف شُرِّفْت من بين الحضور العريض، لأُسَلِّمَهُ تكريمه على هامش الملتقى. قدِمْت نحوه أقدّم خطوة وأؤخّر أخرى حرجاً وحياء من قاعة غاصّة بالجمهور، وإذا أستاذي يجذبني إليه بلطف ويسارُّني: «بدلاً من أن يُسلّم إيَّاي هذا التكريمَ «عنصر» آخر من «صنف» آخر، جِيءَ بك أنت. فما كان مني إلا أن أجيبه على غير مسمع من أحد مبادَهَةً: «والله، يا أستاذي، إنّه لشعور متبادل».

إني ممن إذا فصل الشيخ في مسألة، وأفتى بشأنها فتواه أُصْغِي سمْعي لثقتي المطلقة فيما ينبع من منبعه، حتى ولو كان لي تحفظ نابع مما سبق لي أن وقفت عليه، لكن المرء يتعذّر عليه أن يتفوّه بأمرين أو أكثر بدلاً من أمر واحد، حتى لو تعددت قاعدة نحوية أو صرفية أو معجمية أو دلالية... في أكثر من قاعدة أحياناً، فأنت إذا قرأت «وأَسَرُّوا النجوى الذين ظلموا» لا تقرأ في الوقت نفسه «وأَسرَّ النجوى الذين ظلموا»

نحن نعلم أن هذه اللهجة معزوّة إلى قبائل عربية مثل طيء وأزيد شنوءة وبلحارث، لكن قارئها لا يوظف إلا مَنْحًى نحوياً واحداً، والشيء نفسه ينسحب على سائر المستويات اللغوية بما في ذلك المستويان: الصوتي والفونولوجي. وهذا ما وقع لي مع الشيخ ونحن نسنّ قوانين النشر في مجلة «اللغة العربية». إذ لَمَّا تجاوزنا «المادَّة العاشرة» لاحظت أعضاء هيئة التحرير يكتبون «المادة الحادية عشر» وفي سائر العدد المركَّب، وما سبق لي أن وقفت عليه أن قياس الكلمة الثانية «أي العشرة» هنا تذكّر مع المذكّر، وتؤنَّث مع المؤنَّث مع البناء في الحالتين على الفتح مطلقاً. وإذا كانت «العشرة» بالتاء تسكَّن شينها عند الحجاز، وتُفْتح لدى تميم، ومع ذلك صمت عن الكلام، بل ظننت ظن السوء بنفسي، لكن فحصت المصادر النحوية بما في ذلك الكتاب لم أعثر على شاهد واحد تحْذف فيه تاء «عشرة» مع المؤنث في العدد المركب، ولم أفاتح شيخي حتى الآن خاصة بعدما عاينت أنّ من المحدثين ربما استعمل هذه القاعدة عن علم أو لا مبالاة.

وأنا في خضمّ تحضير ملف شائك خاص لسفر طويل وبعيد، اتصل بي المجلس مشكوراً لأحبّر كلمة أو شهادة حول شيخنا مختار نويوات، غير أن ذلك لم يكن ممكناً

لانشغالي بالملف وتعلّقي بالسفر، ولَمَّا عدت وانتهى الزوّار، بقيت متردّداً صبح مساء: هل بإمكان الكلمات أن تعود إليَّ بعد تعب ورهق في وقت ضيق لعلي أدلي بدلوي فيما يُدْلي تلامذته وأترابه والباحثون المهتمون دِلاَءُهُمْ أم تجافيني وتنفرني لعلها ترتاح مني أو لعلي أرتاح منها؟

بيد أن هذا التساؤل ما عَتَّمَ أن بدالي هراء وهِتْراً هاتِراً (سقطاً من الكلام) إزاء علم أُرِيدَ له وأرادَ لنفسه ألاَّ يتحرك إلا في عتمة بعيداً عن الليالي المقمرة والمناور والمنابر، وهو من هو:

تَـرِيـع إلـيـهِ هَـوادِي الـكَـلاَم
إذا خَـطِـلَ الـنَّـثِـرُ الـمِـهْـمَـرُ

ليتصَوَّرْ أحدنا دون محاباة ولا مجاملة أن هذا الرجل الذي أسَنَّ كبراً ولَحِقْنا به عِتِيّاً:

لِـكـلّ دَهْـرٍ قـد لَـبِـسْـتُ أَثْـؤُبـاً
حتى اكتسى الـرأسُ قِـناعاً أَشْـيَـبَا
أَمْـلَـحَ لاَ لَـذّاً وَلاَ مُـحَـبَّـبـاَ

قيَّض القدر له أن يعيش في عصر آخر، بما في ذلك عصر المماليك، أو في مجتمع غير المجتمع الذي شاء القدر له أن يعيش في فضائه وزمانه، ما ذا كانت مكانته بين

قومه؟ كم أديب فارقنا في صمت رهيب، وكم مبدع بايَنَنا في جوّ مَهِيب، وكم مُثَقَّفٍ رحل عنا في غفلة من أمرنا. ومن هذه الفكرة أحيّي المجلس الأعلى للغة العربية ممثلاً في رئيسه الشاعر الأديب عز الدين ميهوبي، الذي لفت انتباهه عالم أكاديمي ظل ردحاً من الزمن نِسْياً مَنْسِياً على توالي المؤسسات العلمية والثقافية والاقتصادية،... ونحن نحتفل بالذكرى الستين لاندلاع ثورة التحرير، وإلا فأي جدوى من تكريم شخص التحق التحاقاً أبدياً ببرزخه؟. إن تكريماً من هذا القبيل نفاق من حيّ لميت.

على أي حال، حين هممت بـ «خربشة» كلمات عن أستاذنا الذي يستحق مجلّدات، لفت نظري، وأنا في مكتبة تجارية كتاب موسوم « البلاغة العربية في ضوء البلاغات المعاصرة» (بين البلاغتين الفرنسية والعربية) صدر في السنة الماضية، فسعدت باقتنائه أيما سعادة، لكن حزّ في نفسي في الوقت ذاته تأخُّرُ صدور هذا البحث الأكاديمي الذي زامن انتهائي من بحث موسوعي مزدوج في المصطلح اللساني، لأن مؤلّف الأستاذ الجديد كان يسعفني في وتيرة عملي، ويخفّف أعباء ثقيلة عني في كمية واسعة من الفصل في إطلاق مصطلحات عربية مستوحاة ترجمة أو تعريباً أو نحتاً

أو حتى محاكاة لغوية،... من مصطلحات لسانية أجنبية شائكة رهيبة لا قبل للسانياتنا العربية الحديثة بها.

ومن الواضح أن محتوى الكتاب أوسع من عنوانه، إذ لم يعالج الشيخ فيه الظواهر البلاغية بما وُجِد أو لم يوجد في البلاغة الفرنسية، والعكس بالعكس، لأن المصطلحات اللغوية تداخلت منذ قرن ونيّف، ولم يعد ممكناً ولا جائزاً لحقل لغوي أن يدَّعي الهوية لنفسه بمعزل كلي عن حقول أخرى تتصل به اتصالاً وثيقاً يجد حقله مجبراً على التعامل معها في إطار الكل لا في إطار الجزء، لأن البنية اللغوية باعتبارها كلاً لا يتجزأ لا تقوم لها قائمة بظاهرة لغوية دون ظواهر أخرى تعضدها وتنصهر فيها سواء شعر المرء بذلك أو لم يشعر.

ومع ذلك، فإن المجال البلاغي من أعقد وأشرس المجالات اللسانيات عامة، ولا أشك في أن دارساً يشاكس نظيره في هذا، بما أن المجال البلاغي مجال مفتوح مثله مِثْلُ المستوى اللكسيكي، لأنه حين ينتهي الممكن يبدأ اللاَّممكن في أي عملية إبداعية وأسلوبية، فمن العبث أن تسمع مردّداً يردّد: «النحو الحديث»، أو «تجديد النحو»،... ونحو هذا، وهو يستشهد بنصوص جاهلية وإسلامية، بَلْه القرآن الكريم الذي

لا يأتي قواعده الباطل من بين يديها ولا من خلفها، وهو المصدر لأول للاحتجاج اللغوي.

أما البلاغة التي لا تتعدَّى عناصر ثلاثة: لفظاً، ومعنى، وتأليفاً، فلا يأتي جمالها من ألفاظها القاموسية الضحلة أو القوية دلالياً، ولا من قواعدها النحوية الرتيبة أو تصريفاتها الساكنة، بل يتأتى جمالها عبر تأليفاتها التي تختلف أنساقها عن أي نسق آخر، ولو من مؤلّف بعينه، أو قل، يأتي جمالها مما سمّاه شيخ البلاغيين الإمام عبد القاهر الجرجاني «النظم» الذي يقابل تماماً ما سماه الغربيون حديثاً «البنية».

وبعبارة أخرى، البلاغة أن تقول ما قال غيرك بغير ما قلت، لك أن تتقاطع معهم في ألفاظهم واشتقاقاتهم وحتى معانيهم وحتى قواعدهم، باعتبار اللغة ليست حُكْرَة لأحد دون سواه، لكن دون أن تتماسَّ معهم في نسجك وصورك، وبكلمة واحدة في بنيتك أو نظمك.

وقواعد البلاغة من بيان وبديع ونحوهما لا تختلف في شيء من حيث النظم عن قواعد لغوية أخرى،... ورغم ما سُبِقْنا إليه من فطاحل لم يكادوا يتركون لنا مجالا أسلوبياً إلا أبدعوا فيه، فإن مجال البلاغة سيظل مفتوحاً كلما اصطدمت القواعد الميكانيكية بشبح المستحيل.

من هنا جاء هذا الكتاب ينقب على الظواهر البلاغية العربية مُقَارَنَةً بالظواهر الموازية لها في البلاغة الفرنسية، ومن هنا جاء تنقيب أستاذنا على نصوص شعرية فرنسية يتبوؤهم راسين، وفولتير، وبوالو،... إلى جانب شواعر فرنسيَّات، علماً بأن الشعراء في فرنسا يحتكمون إلى النحاة، بخلاف نحاتنا العرب الذين يحتكمون إلى المتكلمين من العصر الجاهلي إلى منتصف القرن الثاني الهجري، بيد أن النصوص عربية كانت أم فرنسية مفتوحة بالنسبة إلى المستوى البلاغي، وهذا ما رفع الحرج عما ورد في مؤلَّف أستاذنا من دراسات مقارنة، وأضفى عليها نسقا جمالياً ديناميكياً ومصداقية راسخة.

ما من شك في أن هذا العمل الجاد كماً ونوعاً سيفتح للطلبة والدارسين مسالك مستقبلية للوقوف على ما توصّل إليه سي مختار نويوات مع مواصلة المقارنة وتعميقها ومحاولة استقصائها وإسقاطها على بلاغات أخرى.

غير أني أؤكد ما سبق لي أن أشرت إليه آنفاً، بأن هذا العمل ورغم طابعه البلاغي، فمن الظلم أن يتصوره متصور بوقفه حصرياً على الجوانب البلاغية، ويقوى لديك هذا الاقتناع إذا ما عدت إلى أي معجم لساني غربي، لتشهد بنفسك بأن كمية معتبرة مما ورد من مواد بلاغية في مؤلَّف

الشيخ تتداخل تداخلاً قوياً مع مستويات لسانية أخرى، رغم أن الشيخ اجتزأ بالرجوع إلى معجم لساني فرنسي واحد، وربما كان محقاً، وإلا فما كان له أن ينهي عمله قبل عقد أو عقدين من الزمن.

ومِمَّا لم أفهمه جيداً ما ذيل به الأستاذ كتابه بدراسة حصرية داخلية عنوانها «أبواب البلاغة الخاصة بالأدب العربي» بحيث بدت لي هذه الدراسة شاردة أو شبه يتيمة بالنسبة إلى ما تقدَّمها من أبواب بلاغية أخرى، وحبذا لو نُشِرَتْ في كتاب مستقل. فأستاذنا يعود ليتحدث عن البلاغة عند العرب، وهي موجودة عند كل الشعوب شفهياً وخطياً، ومثلها «القصيدة» التي وجدت لدى شعوب قديمة قبل أن توجد عند العرب، وأما المطالع الشعرية، فأحسب أن لكل أمة طبائعها وعاداتها، فهي انعكاس لثقافتها وهموم معيشتها،...

وأما الأجناس الشعرية الرئيسة فلا أعتقد أن شعر أمة يخلو منها تمام الخلو، لكن التعبير عن ذلك بدوالّ مختلفة، وأما الأحاسيس الإنسانية فمتماثلة.

وما ألمح إليه لا ينقص شيئاً مما جاد به علم الشيخ واطلاعه الواسعان، فالأصالة والجِدَّة تقطران بين صفحات الكتاب، وهما بارزتان لكل أديب أريب ودارس لبيب.

وبعد سدي، إن التكريم في فحواه الجوهري لدى ذوي الفضل، لا يعني من كثير الوجوه إلا التسليم، لكنْ سواء كرِّمْت اليوم وغداً أم لم تُكَرَّمْ، فنحن لك مسلّمون، وأنت مكرَّمٌ بما قَدَّمْتَهُ عبر أكثر من ستة عقود لجيل كامل من الطلبة، والمربّين، والأساتيذ خدمة للغة العربية وعلومها وآدابها ومقرَّراتها، هذه اللغة التي كادت تَئِيضُ أَمَةً في فضائها العربي مشرقاً ومغرباً، ولكن أوَّاهْ ! لن يكونوا إلاَّ:

كناطحٍ صَخْرةً يوماً لِيُوهِيَهَا
فَلَمْ يُهِنْهَا وَاَوْهَى قَرْنَهُ الْوَعِلُ

أجل سيدي، ما عهدنا فيك، كلما جمعتنا أشغال مجلسية أو علمية أو حتى أكاديمية في بعض الرسائل الجامعية، إلا رجلاً جاداً كادّاً، وصاحب أخلاق فاضلة جعلتك أحياناً توحي بما تريد تلميحاً لا تصريحاً، من فهمك تجاوبت معه، ومن لم يفهمك أعرضت عنه دون أن تخدشه ببنت شفة حياء منك ورفعة.

أستاذي العزيز، أستسمحك والحضور الكريم لتذييل هذه الكلمة الانطباعية التي لا ترقى إلى ما يلزم قدركم وجلالكم بهذه الأبيات للشاعر أبي الشيص الخزاعي عسى أن تغفر لقصور كلماتي، وتنسي متلقيها ما شابها من فضول ربما لم

يكن في مكانه:

أبقى الزمانُ به ندوبَ عِضَاضِ
ورمى سوادَ قُرُونه ببياضِ
نفرتْ به كأسُ النَّديم وأغمضتْ
عنه الكَواعِبُ أيّما إغماض
لربما جُعِلتْ محاسنُ وجْهِهِ
لجفونِها غَرَضاً من الأغراضِ
حَسَر المشيبُ قناعة عن رأسه
فرَمَيْنَه بالصَّدَّ والإعراضِ
إثنان لا تصبو النساءُ إليهما
ذو شيبة ومُحالفُ الإنفاضِ
فوعودهنَّ إذا وعدنَكَ باطلٌ
وبُرُقُهُنَّ كَواذِبُ الإيماض
لا تُنكري صَدِّي ولا إعْراضي
ليس المقلّ على الزمانِ براضِ
حُلّي عِقال مطيَّتي لا عن قلىً
وامضي فإني يا أميمة ماض
عُوِّضْتُ عن بُرْد الشباب مُلاءَةً
خَلَقاً وبئسَ مُعوِّضة المعتاض

أيّــــام أفــــراس الــشــبــاب جــوامــحٌ
تــأبــى أعــنَّــتــهــا عــلــى الـــــرُّوّاض
وركــائــبٍ صَــرفــتْ إلــيــكَ وجــوهَــهــا
نــكــبــاتُ دهْـــــرٍ لــلــفــتــى عــضّــاض
إنَّ الأمـــــانَ مــن الـــزّمـــانِ وريـبـه
يــا عُــقْــبَ شَــطًّــا بَــحْــركِ الـفـيـاضِ

كلمة شكر وعرفان
على ما قدمه الأستاذ نويوات
من أعمال علمية وتربوية

أ.د الطاهر ميلة

أشكر في البداية السيد رئيس المجلس الأعلى للغة العربية عز الدين ميهوبي وإطاراته على تنظيم هذا اليوم الدراسي المخصص لتكريم أستاذنا وشيخنا الفاضل مختار النويوات والإشادة بجهوده العلمية القيمة في خدمة اللغة العربية والنهوض بها وبثقافتها.

اسمحوا لي، قبل عرض بعض أعماله العلمية وآرائه في النهوض باللغة العربية، أن أعبر عن تقديري واحترامي الكبيرين لأستاذي الفاضل مختار النويوات، لما لمست منه من خصال رفيعة في تعامله مع طلبته وزملائه الأساتذة في حرم الجامعة وخارجها، في حضورهم وغيابهم، وأشيد بالجهود العلمية التي قدمها للجامعة الجزائرية، إذ تخرج على يديه آلاف الطلبة في مرحلتي التدرج وما بعد التدرج، وأشرف على عشرات الرسائل

والأطروحات لأساتذة ذوي الرتب العليا هم الآن في خدمة الجامعة الجزائرية تدريسا وبحثا وتأطيرا. فالأستاذ نويوات أستاذ لأجيال من الطلبة والأساتذة الجامعيين، وهو إن لم يشارك في الإشراف المباشر على مذكرات بعضهم وأطروحاتهم، نجده مشاركا في تقويم أعمالهم ومناقشاتها أو تقديم التوجيهات والإرشادات لمن يطلب منه ذلك، فلا أعرف أحدا التمس منه الإشراف على عمله أو اقترح عليه مشاركة في مناقشة رسالته واعتذر، على الرغم من مشقة السفر وبعد المسافة في كثير من الأحيان. وهو السلوك نفسه الذي عُرِفَ به أستاذنا عند دعوته لحضور ندوة أو ملتقى أو أي لقاء من اللقاءات العلمية التي تنظم هنا وهناك، أو تلك التي تنظم للنظر في البرامج الجامعية المقترحة أو لإثرائها أو اقتراح بدائل لها.

شكرا لك أستاذي على إخلاصك لعملك، منذ أن عرفناك، وعلى طيبتك مع المحيطين بك، مهما كانت ألوانهم ومستوياتهم وطباعهم. شكرا لك على تفانيك في خدمة العربية والرقي بثقافتها. شكرا لك على الجهود التي بذلتها في تنشيط حركة البحث العلمي في الجامعات الجزائرية مهما كان موقعها ومنظموها، فأنت شيخ العربية وعلومها ملكة وصنعة، وكيف لا وأنت من بيئة، يعد استعمال العامية فيها

معيارا لسلامة منطوق العربية، لقربها من الفصحى، ولا غرابة في ذلك وأنت من أسرة كريمة وعريقة في علوم العربية وثقافتها، شيخها موسى الأحمدي النويوات والدكم رحمه الله برحمته الواسعة .

الشكر على ما قدمته من أعمال وخدمات للمجلس الأعلى للغة العربية منذ تأسيسه إلى اليوم، وخاصة فيما يتعلق بتنشيط الندوات وتقييم الأعمال التي تقدم إلى مصالح المجلس المختلفة، والإشراف على مجلته وعلى كثير من اللقاءات العلمية والثقافية التي نظمها وما زال ينظمها وما زلت تشرف عليها ولله الحمد .

وبكلمة فانا أعتز بمعرفتك والتلمذة على يديك، ولو لم يكن ذلك في إطار نظامي ومنذ صغري ولهذا السبب كان ما تعلمته منك محدودا جدا مقارنة بعلمك الغزير وثقافتك الواسعة.

لقد تعددت أبحاث الأستاذ مختار نويوات وتنوعت من علوم اللغة (1) وبلاغتها (2) إلى فنون الشعر (3) وتحقيق المخطوطات (4) وغيرها من العلوم والفنون، لا يسمح الوقت ولا بمقدوري الحديث عن ذلك كله، لكني اكتفي بعرض موجز جدا، أرجو ألا يكون مخلا حول بعض

آرائه في موضوع صلة العامية بالفصحى، وهي آراء سديدة، لكونها عصارة أبحاثه النظرية وتحرياته الميدانية حول العلاقة بين العامية والفصحى عامة، وحول علاقة بعض التأديات اللهجية في الجزائر بهذا المستوى اللغوي الراقي على وجه الخصوص.

وقد يعود سبب اهتمامه بالعلاقة بين الفصحى والعامية إلى ما اكتسبه من والده موسى الأحمدي نويوات وإلى ما صدر عن المستشرقين ومن سار على نهجهم من العرب بشأن هذه المسألة التي ظهرت منذ القرن التاسع عشر، إذ يرى جل هؤلاء المستشرقين –إن لم أقل كلهم– أن الفصحى لغة ميتة، وهي بذلك غير صالحة للتعبير عن مستجدات العصر الحديث، وينصحون العرب في المقابل باستعمال العامية في الحياة اليومية.

وقد ظهر اتجاه مضاد لهذا التيار تبناه اللغويون والمثقفون العرب الذين يرون أن العلاقة التي تربط العامية بالفصحى هي علاقة طبيعية موجودة في كل اللغات الحضارية، وأعني بذلك المستويات اللغوية، إذ أن الفصحى تمثل المستوى الأرقى من اللغة العربية، استعمل للتعبير عن كل ما يتصل بالدين والعلم والثقافة والأدب، وأما العامية فوظفت للتعبير عن شؤون

الحياة اليومية، فهما وجهان للغة واحدة، تسمى العربية، يجب الاعتناء بهما معا.

تدخل أبحاث الأستاذ مختار نويوات في هذا الإطار العام، غير أنه ركز أكثر على موضوع رد العامي إلى الفصيح، أي تأصيل الكلمات العامية التي تبدو لغير المتخصص وكأنها بعيدة عن الفصحى، ومثل هذا النوع من الأبحاث شاق ويحتاج إلى نفس طويل ومعرفة كبيرة بأسرار العامية والفصحى وبتاريخ كل واحد منهما، بل ويحتاج هذا الباحث إلى معرفة واسعة باللغات الأخرى التي أثرت وتأثرت باللغة العربية عبر تاريخها الطويل ومساحتها الجغرافية الواسعة والمتنوعة، والأستاذ مختار نويوات هو من بين الباحثين القلائل المؤهلين في هذا الموضوع فيما أعلم.

ومن أعماله القيمة دراسته الميدانية للعامية المستعملة في منطقة الزيبان وصلتها بالفصحى باعتبارها نموذجا لبقية التأديات اللهجية في الجزائر، كما أشرف على عدد من الندوات حول هذا الموضوع، أي العامية والفصحى، منها المائدة المستديرة التي نظمها المجلس الأعلى للغة العربية سنة 2005، (5) والندوة الدولية سنة 2008، (6) وكذلك ما كتبه في افتتاحيات مجلة «

اللغة العربية» التي يصدرها المجلس الأعلى للغة العربية بصفته رئيس تحريرها (7).

ومن الآراء التي استخلصها من دراساته السابقة ومن غيرها أعرض ما يأتي على المثال لا الحصر:

- أن العربية الفصحى تطورت في ظل الإسلام ولكنها حافظت على معاييرها في المستويات الصوتية والصرفية والمعجمية. واستدرك بعد ذلك وقال: إنه لم يحدث فيها هذا التطور إلا ما يقتضيه التطور التاريخي، كما استدرك مرة أخرى لإيضاح درجة هذا التطور قائلا: « لو بعثت أجيال القرون الإسلامية الأول لما فهمت إلا القليل.» أي ما نقوله اليوم، وخاصة فيما يتعلق بالمفردات. أما اللهجات العربية فتطورت خارج المجال الديني تطورا حرا فقدت فيه بذلك كثيرا من سماتها.

- إن هذا التطور ليس عشوائيا فوضويا، بل خضع لقوانين عامة موجودة في جميع اللغات.

- أهمية دراسة اللهجات العامية لمعرفة هذه القوانين ولمعرفة الصلة الوثيقة بينها وبين الفصحى. ولذلك قام بدراسة ميدانية لعامية الزيبان بغرض بيان هذه القوانين.

- وجود صعوبات في هذا النوع من الدراسات لأنها

لم تدرس في العصور القديمة, ولأن اللهجات لم تكن مدونة، وإن دون بعضها، فهو قليل جدا.

- 90 في المئة من لهجاتنا فصيحة الأصل.

ومن الكلمات التي درسها وهي تعد بالمئات نجد: استنَ، بحبوح، خُش، دنق، هَرَد، تودَر، تعافروا، خربش، تليس، بح، تغنانت، قاشوش إلى غير ذلك... وذكر بالنسبة إلى كل كلمة من الكلمات السابقة أصلها الفصيح ومعناها أو معانيها الأولى وتحدث عن صيغتها ودلالتها في العامية.

أختم هذه الكلمة الموجزة بالإشارة إلى أن الكلمات الخمس الأخيرة تستعمل أيضا بنفس المعاني وبنفس المواد الأصلية بالنسبة إلى معظمها في اللهجة القبائلية المحاذية للجهتين الغربية والشمالية من ولايتي برج بوعريريج وسطيف.

رغبت أن أقدم بعض الإيضاحات الإضافية المكملة حولها لكني عدلت عن ذلك لضيق الوقت.

أجدد شكري مرة أخرى لأستاذي مختار نويوات وأهنئه بهذا التكريم وأدعو له بموفور الصحة وطول العمر، فما قام به من عمل وبحث، ولاسيما موضوع رد العامي إلى الفصيح هو من قبيل الدراسات التي تقرب ولا تفرق، فضلا عن قيمتها العلمية، ونحن وأبناؤنا بأشد الحاجة إليها .

المصادر والمراجع:

....

1. العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى في منطقة الزيبان، بسكرة نموذجا، 2005. بالتعاون مع الأستاذ الدكتور محمد خان.

2. البلاغة العربية في ضوء البلاغات الأخرى - البلاغة -الفرنسية أنموذجا -

3. L'Inspiration Chiite chez le Poète Al-syyid Al-Himyri, Thèse, France, 1981.

4. ديوان ابن سنان الخفاجي، أبو محمد عبد الله بن سعيد بن يحيى بن الحسين 422، حققه وشرحه وعلق عليه مختار الأحمدي نويوات, 2007.

5. بين الفصحى والعامية، من وقائع حوار الأفكار، المجلس الأعلى للغة العربية، 2005,

6. الصلة بين العربية الفصحى وعاميتها بالجزائر: المعالم الكبرى، أعمال الندوة الدولية، المجلس الأعلى للغة العربية، 2008.

7. افتتاحية مجلة «اللغة العربية»، أعمال الندوة الدولية، المجلس الأعلى للغة العربية، العدد 18.

شهادة في حق
من علمني وأدّبني
العلامة مختار الأحمدي نويوات

أ.د سعيدة كحيل

شهادتي قاصرة في حق أستاذي وأستاذ الأجيال العلامة مختار الأحمدي نويوات ابن الشيخ موسى الأحمدي نويوات سليل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين .شهادة لا تفي حق النبيل العريق المتفرد في زمنه ومكانه فمعذرة أستاذي إن قصرت أو نسيت فمثلك جليل لا ينسى .

درسنا ضرار الشعر وقوافيه من كتاب والده المتوسط الكافي في علمي العروض والقوافي.

من الذكريات التي تقبع في الذاكرة ولا تبرح أنني شُرفت باستلام شهادة التعليم الابتدائي بعد أن نلت معدل التفوق مرتين، الأولى من يد الرئيس الراحل هواري بومدين وقد سلمته مقابلها علما صغيرا للجزائر العظيمة، والثانية من يد أستاذي ومقابل وداعته ابتسمت فدعا لي بالتفوق الدائم.

كان ذلك سنة 1973 وبقيت أصوات العربية التي كلمني بها ترن في أذني وعقدت العزم أن أواصل بفضل تشجيعه ومرت الأيام دون أن يأتي أستاذي إلى مدينتي ثانية، لكن صورة الطيبة والتشجيع لم تفارق مخيلتي دون أن أعرف من هو هذا الرجل ولا ما اسمه.

في سنة 1981تحصلت على شهادة الباكالوريا وانتسبت إلى قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة باجي مختار عنابة وحضرت المحاضرات الأدبية في الأسبوع الأول .ومع مطلع الأسبوع الثاني برمجت لنا محاضرات النحو العربي ودخلنا المدرج رقم 3 الذي يسمى اليوم باسم أبو بكر بلقايد وخطوت نحو المقعد الأمامي ورفعت رأسي لأرى من سيدرس لنا المادة. وهنا رأيت أستاذا وقورا أحسست للوهلة الأولى بأنني أعرفه لكنني سرعان ما طردت هذا الإحساس .سألني الأستاذ عن مسائل نحوية فأجبت وعندها قال لي أنا أعرف طينة هذه الإجابة وتذكرني رغم تغير الملامح وكيف لا وهو الذي يعرف القصيدة من الاستماع إلى صدر بيتها الأول. يومها عرفت الاسم وأيقنت بأن الله قد منحني حظا كبيرا .

كان أستاذي عادلا لا يفرق إلا بالكفاءة بين الطلبة وكان ضليعا في مسائل النحو وفقه اللغة ومعه أحببنا اللغة العربية

.ومن مادة النقد الأدبي التي حظينا فيها بالتعرف على مصادر المذاهب والحلل والملل ورحل بنا في الزمن مع ديك الجن وعبر منازل الحكاية سحرنا بعلمه الراسخ في الدراسات الإسلامية وهو الحائز على شهادتها العليا، أما الشعر بفنونه ومذاهبه فكان يحفظ بموهبة ربانية فريدة من نوعها ثم إنه متكون أيضا في مجال الأدب فقد نال شهادة الليسانس في هذا التخصص، ثم شهادة الدراسات العليا «DES» بجامعة الجزائر، ونال التبريز من جامعة باريس، ثم دكتوراه الدولة في الأدب والعلوم الإنسانية، من جامعة السوربون، وكان موضوع أطروحته «السيد الحميري ومصادر شعره» تقلد عدّة مناصب في مراحل التعليم المختلفة، فشغل منصب مدير ثانوية القديس أوغستين Saint Augustin بعنابة ومفتش أكاديمية في الولاية ذاتها، ثم مفتشا عاما للقطر الجزائري ثم للشرق الجزائري، فأستاذا جامعي بجامعة باجي مختار —عنابة– منذ سنة 1981م ولا زال أستاذي يعطي ولا يأخذ في درب التدريس الجامعي إلى يومنا هذا.

درست العروض ثم درسته لطلبتي بفضل التكوين الذي حظيت به من أستاذي فقد كان نابغة في هذا العلم عارفا بأصوله.

بعد انتسابي للدراسات العليا كانت لي وقفة معرفية أخرى مع أستاذي، كللت بإشرافه على رسالة الماجستير وكان في كل مقابلة يوجه وينصح بالقراءة والاستماع إلى اللغة العربية والانفتاح على اللغات الأجنبية ولم يهدأ له بال حتى نلت الشهادة وهنأني بنفسه وطلب مني المداومة على البحث .

لقد تعلمت من أستاذي الصبر على طلب العلم، ومعه عرفنا أن قيمة الإنسان بعلمه وخلقه معا .

من شمائله التي يذهل لها كل من عرفه تواضعه وهو المكتنز علما ومعرفة، ولطفه وحياؤه .

من المواقف التي لا أنساها ما حييت تقديمه لي في ملتقى المجلس الأعلى للغة العربية فقد آثرني على نفسه وقال في حقي كلمات طيبات تنبع من طيبته.

ومن مواقفه النادرة عنايته بابني البكر وحديثه الراقي معه عن الطب وتشجيعه المستمر له .

ساهم أستاذي في صدور الكتاب العربي تحقيقا وشرحا وترجمة، كما كتب العديد من المقالات / في مجلة اللغة العربية التي يتولى منصب رئيس تحريرها ومن أهم كلماته تحيته: تحيات من الله طيبات، كما ساهم بأفكاره في مجلة الدراسات الإسلامية الفرنسية .

من أهم إنتاجه المطبوع :

- الاشتراك في تعريب مصطلحات «التشريح الطّبوغرافي» ثلاثي اللغات في خمسة مجلدات لعبد الحفيظ الحلايدي أستاذ المادة بجامعة الرباط الذي ألفه بمساعدة ثلة من زملائه وقرّظه عدّة من علماء أوروبا، وقد قام بجهد توثيقي كبير تطلب منه التضحية بسنوات كثيرة من عمره ومن صحته إذ كان ابني يزوره أحيانا ليتعلم منه فيراه منكبا على كتبه يقرأ من مختلف اللغات ويترجم بل ويحقق، وكان هذا المشهد مؤثرا في ابني إذ كان يردد عندما تفتر عزيمته لن أتراجع فالأستاذ العظيم على كبر سنه يثابر وبقي على عادته هذه حتى اكتمل مراده وأهداني نسخة من كتابه النفيس .

كان أستاذي لا يرد دعوة علمية توجه له. أذكر أنني يوم دعوته لحضور يوم دراسي نظمه قسم الترجمة حضر الجمهور بمختلف سنه ومشاربه فهو من إذا حدث أمتع وأثرى وكان هذا دأبه في كل لقاء له في المحاضرات أو المناقشات فهو فريد من نوعه يشد كل من يستمع إليه ويفرض احترامه بسعة علمه وتواضعه فقد حق له لقب العلامة.

شغف الأستاذ بعلم التشريح الوصفي في الثمانينيات من القرن الماضي حيث كان يدير مكتب التعريب في كلية

الطب بجامعة عنابة، واشتد اهتمامه به يوم طُلب منه أن يشارك في تعريب هذا الكتاب، وبعده كتاب الأساس في مصطلحات علم التشريح معجم ثلاثي اللغات عربي، فرنسي، إنجليزي، منشورات مخبر اللسانيات واللغة العربية، مطبعة المعارف بعنابة، هذا ما جعله يتابع العمل في هذا المجال أكثر من عشرين سنة، فترجم بعدها المصطلحات التعريفية الواردة في كتاب «الأساس في علمي التشريح والفزيولوجيا»، معجم ثلاثي اللغة أيضا، من مطبوعات مكتب التعريب بكلية الطب، جامعة باجي مختار، عنابة، 2011م، لأحد المؤلفين الكنديين وبإذن منه، فقدمه لطلاب السنتين الأولين من التعليم الطبي أو شبه الطبي – ولا زال أستاذي يأمل بتعريب العلوم وخاصة الطبية لدقة الترجمة العربية.

شارك الأستاذ في مشاريع البحث الوطنية Cnepru

ومن عادته أن ينهي المشروع عمليا وكان يرأس فعليا كل خطوات البحث العلمي ومن أهمها:

- «العامية الجزائرية وصلتها بالفصحى»، بمعية الأستاذ الدكتور محمد خان، من مطبوعات شركة دار الهدى للطباعة والنشر والتوزيع، عين مليلة، 2005 م، وفيه جمعا ألفاظا عامية خاصة بمنطقة الزيبان بسكرة والتي يتداولها أبناء هذه المنطقة

وبحثا في أصلها وعلاقتها بالفصحى بالاستعانة بمعاجم عربية مستشهدين في ذلك بالقرآن الكريم والحديث النبوي الشريف وغيره – وهذا الكتاب يبين وجهة نظر العلامة مختار نويوات في علاقة العامية باللغة الفصحى ويرى أنها علاقة وطيدة، فالعامية أو العاميات العربية تستمد بلا شك قوّتها من الحياة الطبيعية والحياة الطبيعية لا تُقهر ولذلك لم يدعُ أحد إلى مناهضتها بل دعا إلى تبنيها وتنقيتها من الشوائب والرّفع من مستواها وإثرائها للتقريب بينها وبين الفصحى، وهذا ما كان ينادي به أستاذنا في محطات علمية عدة.

- تحقيق وشرح «ديوان ابن سينان الخفاجي»، بمعية المرحوم نسيب نشاوي، من مطبوعات مجمع اللغة العربية، بدمشق، 1428 /2007م

- ومن أهم ما قرأت له يوم كان مخطوطا في حاسوبه وقد طلب مني أن أقرأ «البلاغة العربية في ضوء البلاغات المعاصرة»، منشورات دار هومة، 2013م، وقد خصه بالبلاغة العربية وعلاقاتها بالبلاغة الفرنسية، وهو موضوع قلما تناوله الباحثون، فهو جديد من حيث طريقة طرحه للموضوع ومعالجته لقضاياه وتبويبه الخاص الذي ينم عن دقة العالم في معالجته للموضوع وبحثه في أدق تفاصيله

وعلمه الواسع والكبير بعلم البلاغة وتمكنه من اللغتين العربية والفرنسية، فهو كما سبق ذكره خريج السوربون ومن أساتذته ريجيس بلاشير .

لقد كان تفتحه على اللغات من خلال الترجمة سببا في كثير من اختياراتي العلمية فالفضل لله وللجزائر ثم له ولنخبة من أساتذتي الأفاضل.

- نشر أستاذي بمجلة المخبر الذي أداره مقالا عن اللغة العربية واستيعاب الثقافات (العدد السادس: ص 4 – 62) وتحدث فيها عن ثراء اللغة العربية فهي بحسبه مرنة طيعة لها من المميزات ما يجعلها قادرة على استيعاب الثقافات والحضارات المعاصرة مثلما استوعبت قديمها وخدمت به البشرية، لكن اللغة تبقى تابعة لأهلها فالمجتمع المتوقف الراكد لغته بلا شك متوقفة راكدة، فحالة اللغة تعكس حالة أهلها، فالعيب في الإنسان لا في اللسان .

- مشكلة تعلم اللغة العربية وتعليمها (العدد التاسع: ص 35 – 60) وإنه ليرى أن اللغة ممارسة يومية قائمة على أسس صحيحة، كما أن الطريقة الشفوية في تعلم اللغة أنجع الطرق لترسيخ القواعد اللغوية .

- الدكتور أبو العيد دودو، نبذة وجيزة عن حياته وآثاره

(العدد الحادي عشر: ص 75- 94) وجاء في عدد خاص تكريما للفقيد .

- وفي العدد الثامن عشر ناقش فكرة حلول العامية مكان الفصحى، ورأى أنّ العربية الفصحى من مزاياها الرسوخ والتجذر، فأغلب المثقفين المعاصرين يفهمون الجاحظ وأبّا حيان التوحيدي والبحتري والمتنبي، مع أنّ دانتي وشكسبير وغيرهم وعلى قرب العهد بهم، يعاني الغربي من فهم نصوصهم لأنّهم كتبوا بلغة شعبية سريعا ما تزول، ومن مزايا العربية التي وصفها بالتطور والتجدد أنّ القدماء لو بعثوا لما فهموا إلا القليل من الفصحى المعاصرة لما استحدث من بعدهم من مصطلحات كالكلية والجامعة وكذا المصطلحات التي باتت تستعمل لغير ما كانت عليه كالسيارة والتي كانت خاصة بالقافلة، وفي التراكيب التي تنكرها أسماعهم من جمل أو ضمائر تُدخل عليها أداة التعريف كاللاشعور والأنا، فمن زعم أن العربية لم تتطور فهو واهم .

شارك الأستاذ في ملتقى اللغة العربية والمصطلح بجامعة باجي مختار عنابة بمداخلة عنوانها اللغة العامة والمصطلح وكان رأيه فيصلا في حل إشكالية الملتقى.

- له عدة مساهمات في الموسوعة العربية في نطاق الأليسكو، منها مداخل ابن إياس، أبو الطيب اللغوي واللحياني

من أهم أعماله والتي تنتظر النشر ونتمنى تكفل المجلس الأعلى للغة العربية بنشرها وقد جاهد الأستاذ لأجل نهضة اللغة العربية عمره كله وكان آخر بحوثه في موضوع نهضتها بالذات :

- ترجمة أطروحة دكتوراه دولة بعنوان «الوزارة العباسية» للمستشرق دومينيك سورديل.

- دراسة كتاب « زجر النابح» لأبي العلاء المعري، الذي تم اكتشافه حديثا في لندن.

- الأمثال العامية وما يقابلها في الأمثال الفصيحة والشعر العربي

ولكل مؤلف من هذه المؤلفات قيمة علمية كبيرة تنأى أن توزن بالذهب لرصانة فكره وتحليله.

عُرف أستاذي بكرمه المعرفي فقد كوّن أجيالا. سُئل: لماذا أنت مقل في الكتابة على سعة علمك؟. قال «طلبتي هم كتبي فقد شغلوني عن نفسي وكان همي أن أسلمهم القبس مضيئا لتبقى سماء الجزائر مشرقة دائما .»

الله الله الله على الأخلاق السامية لأستاذي وأبي وسندي.
الله الله الله على رجل أنجبته الجزائر فاحتفت به الدنى .
بارك الله في علمه وخلقه .

أشهد أن الأستاذ الدكتور مختار نويوات كان مثال الأستاذ الذي أفنى العمر وفي زمن صعب ولم يدخر جهدا ولا وقتا ولا علما ولا صحة إلا بذلها من أجل تكويننا ومن أجل أن تبقى اللغة العربية في الجزائر بقاء الدين الإسلامي وبقاء الجزائر .

حفظ الله أستاذي وأبقاه ذخرا للجزائر وأناله الله أعلى الدرجات.

"إننــي أحــذر مــن الرّكــون إلــى مجــرّد عبقريّــة اللغــة وثرائهــا وجعلهمــا ســبب الصّمــود لعــوادي الدهــر كما يقـال. فالعربيّـة تطـوّرت فـي اتجاهيـن مختلفيـن : تطـورت فـي كنـف القـرآن فرعاهـا فحافظـت علـى سـماتها، وفتّــق طاقاتهــا فــي مختلــف العلــوم والفنـون الإسـلامية، ومكّنهـا مـن اسـتيعاب الحضـارات القديمــة فاســتوعبتها وأسّســت لنفســها حضــارة أصيلـة متفتّحـة وتطـوّرت تطـورا طبيعيّـا فاسـتحالت لهجـات دارجـة منتشـرة فـي الشـرق الأوسـط وفـي المغـرب الإسـلاميّ. وهـذا الارتبـاط الوثيـق بالقـرآن مـع أهميّتــه الكبــرى، سيتلاشــى مــا لــم يحافــظ مسـتعملو الفصحـى علـى كيانهـم بتنميـة قدراتهـم الاجتماعيّـة والفكريّـة والاقتصاديّـة وبفـرض وجودهـم فـي هـذا العالـم الـذي لا يرحـم ضعيفـا. وهـل مُكّـن للغـة الإنجليزيّـة فـي البسيطة بغيـر هـذه القــدرات؟"

مختار نويوات

منعطف جديد للأدب

في كتاب
«البلاغة العربية في ضوء
البلاغات المعاصرة»
بين البلاغتين (الفرنسية والعربية)
للأستاذ الدكتور مختار نويوات

د. عثمان بدري

أستاذ الأدب الحديث، جامعة الجزائر

الجمع المختار، في مقام التدبّر والاعتبار، وبشائر الانتظار، السلام عليكم، وهنيئا للغة العربية، وكل المحتفين بها والعاملين على الرقي بأدائها ومردودها، في شتى أصقاع المعمورة، وبالأخص في رحاب المجلس الأعلى للغة العربية، هنيئا لها ولكل من كان لها، أو ـ حتى ـ عليها، بهذا الحدث الثقافي المهيب الذي تنادى فيه مَنْبَرَا: «فرسان

البيان»، و «حوار الأفكار»، بفضل «مَهْوَانا» المقتدى أ.د مختار نويوات الذي أَبَى إلاّ أن يُكْرِمَنا، فيعرج بمداركنا وملكاتنا وعزائمها إلى برازخ ونيرات أهل «البَيَانِ والتَّبْيِينِ» الذين تناسلوا من سلالة البلاغة الشاعرة التي تومض وتوحي وتستشف وتختزل، أكثر مما تصرح وتفصّل وتحلّل وتعلّل، أو ممن توارثوا الاحتكام إلى سلطة البلاغة المفكرة، ذات المنازع الأدبية التمثيلية (المسرحية)، أو «الشعر/قصصية»، الملحمية، التي تتوخى الإقناع والحجاج والتحليل والتعليل والبرهنة، كما تناسل ذلك – مؤتلفا أو مختلفا– من كتاب «الخطابة»، لفيلسوف الطبيعة، المعلم الأول «أرسطو طاليس».

ففي سياق فقه الأستاذ مختار نويوات بِمُظْهَرِ وَ مُضْمَرِ أصول علوم العربية بما فيها علوم القرآن الكريم، وما إليها عموما، وتشبعه وإحاطته بفسيفساء البلاغة العربية التي تغذت واستوت على سوقها من «صَيْرُورَةِ» المتخيل الشعري العربي المنابت، الحضاري الإنساني الوجهة ومن جلال وجمال وإعجاز البيان القرآني، مجملا ومفصلا، وفي سياق درايته التعليمية والتربوية والمعرفية واللسانية والأدبية والنقدية بما دعاه « الْبَلاَغَاتُ الْمُعَاصِرةُ» مختزلة في البلاغة الفرنسية،

ذات المشارب الثقافية والحضارية اللاتينية والإغريقية الرومانية القديمة، أو «المحينة» حينا أو «المعدلة» تعديلا كليا، حينا آخر حديثا، في سياق كل ذلك يتنزل الإنجاز العلمي، الأكاديمي، الموثوق، الجامع دون منع، المتفرّد دون ادّعاء الانفراد، الموسوم بعنوان: «البلاغة العربية في ضوء البلاغات المعاصرة، بين البلاغتين: الفرنسية والعربية» الصادر عن دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، بالجزائر 2013، في قِوام رشيق التكوين، مكتنز الْخبايَا، متماسك الأوصال حيوي المفاصل، يتكون من خمسمائة وتسعين صفحة من الحجم المتوسط.

وللأمانة فإن من بين مريدي العلامة مختار الأحمدي نويوات، الشامخ تواضعا وحياء وَهُيَامًا بشجرة المعرفة، المبدع المتعدد والمواهب والكفاءات والمواقع، رئيس المجلس الأعلى للغة العربية، عزالدين ميهوبي الذي امتصت مداركه رحيق مدارات القول في «الْبيَانِ المُبِينِ» لمشهودنا الأستاذ مختار نويوات، فأعرب ذلك في المقدمة التي جمعت بين الإفادة بحمولة الإنجاز، والمتعة الفنية في توصيفه وإدراك كنهه، كما تتوامض بذلك القطوف الآتية:

«بين يدي جهد علمي غير مسبوق في الدراسات الأدبية المقارنة، قام به الدكتور مختار نويوات... فإذا كان الشرق

منبت الأنبياء والرسل والرسالات السماوية، فإنّ الغرب أخرج للعالم فلاسفة وشعراء وروائيين حفروا طويلا في وعي الشعوب والأمم. ـ لقد رأيت من واجبي أن أثمن عملا علميا جريئا ذا قيمة كبيرة في الدراسات المقارنة، وكان من واجبي أيضا أن أجزي الدكتور مختار الأحمدي نويوات حقه، لأن أمثاله قليلون ممن يختارون القضايا الأدبية واللغوية الصعبة» والمعقدة لتحرير العقل الثقافي العربي من أسر الانغلاق إلى سبر أغوار الثقافات المتاخمة وإقامة منطقة تماس معرفي بينها، ومن واجبي في مقام كاتب متميز وكتاب أكثر تميزا أن أهنئ المكتبة العربية، والفرنسية أيضاً لصلتها بالموضوع بهذا المؤلف الذي يبقى من نوادر ما كُتِب في زمن استسهال الكتابة والإبداع « (ص:16/12).

وبهذا الشعاع الكاشف، فإنّ ثمة جملة من الأسئلة الفورية التي تتعلق بهذا الإنجاز غير المسبوق كليا، وإن كانت له نظائر و أشباه مشتتة هنا وهناك، جزئيا، ومن بين هذه الأسئلة:

ماهو الموقع المتفرد، غير المنفرد، لهذا الجهد الاستثنائي، كميا ونوعيا، في فضاءِ الدراسات اللغوية أو الأدبية أو النقدية المقارنة؟

1. لنسجّل –بداية– أن أول ما يستوقف المتلقي المتعين أو الافتراضي لهذا الإنجاز المرجعي الجامع، يتمثل في كفاءة انسجام و اتساق وحبك وتهديف مجرى اللغة الواصفة للمنظومة المفاهيمية أو المصطلحية الأكثر دورانا في المساحة النصية للكتاب، والأكثر استقطابا وتمثيلا وتبليغا لمؤتلف ومختلف البلاغة الشعرية في مدارَيْ اللغة العربية واللغة الفرنسية المتفاوتين في الزيادة أو النقصان، تبعا لتفاوتهما واختلافهما . بل وتنافيهما أحيانا كثيرة . في «رؤية العالم» بما كان، أو بما هو كائن، أو بما يؤول إليه. إذ بقدر ما لا نجد في الكتاب كله، مجالا للاستطراد والإطناب والحشو والتعميم، والاسترسال في إطلاق أحكام القيمة الذاتية السلبية، أو افتعال الموضوعية الصماء، فإن نسيجها التركيبي مثقل بمكوّن ما يعرف عند فلاسفة علم الخطاب بـ «الكلمات المفاتيح» الأدخل في مجال «المفاهيم معالم»، كما أسس ذلك وبَيّنَه، الناقد المغربي المتشبّع بفلسفة المنطق الرياضياتي الحديث محمد مفتاح.

2. وبكفاءة التمكن في إدارة وإنتاج «الكلمات المفاتيح»، للخطاب اللغوي الواصف، استطاع المنجز البلاغي المؤطر للغتين: العربية والفرنسية في هذا الكتاب، أن يقنع المتلقي

العارف، أو الذي لا يزال في طور التأسيس، بجدارة انتظامه في الفضاء المعرفي المقترح « للدراسات المقارنة»، انطلاقا من علامات الواجهة الأمامية، مثل «الدراسات المقارنة»، في أعلى يمين الغلاف الخارجي»، مثل «العتبة الأم» المُرمكزة في وسط الغلاف: «البلاغة العربية في ضوء البلاغات المعاصرة»، والجملة الظرفية التفسيرية: «بين البلاغتين: الفرنسية والعربية»، ومرورا بما صرح به المؤلف نفسه، في مقدمته الجامعة بين الحبك والسبك، التي جاء فيها: «للدراسات المقارنة أهمية كبرى في وضع الثقافات جنبا إلى جنب، وإدراكها مستنيرا بعضها ببعض، وفي مجال أوسع من مجالها منفردة.

ونريد أن ندرس البلاغتين العربية والفرنسية متقابلتين متكاملتين، تستمد كلتاهما من الأخرى ما هي في أمس الحاجة إليه وتمدها بخير ما فيها من مادة ومن تصور ومن وسائل تخدم الفكر وتغذي المواهب وتوسع المدارك» (ص:17).

3. ولكن حصيلة الاستغراق المتجول في عالم المفاهيم والمصطلحات البلاغية المتواضع عليها أو التي فاضت وأفضت بها المخيّلات الشعرية العربية أو الفرنسية من ص: 24 إلى ص :560، تؤكد على تفرّد وربما انفراد هذا الإنجاز

بمنعطف جديد لمشارب ومجاري ومصبات مكون «الأدب المقارن»، أو «النقد المقارن»، أو تخصيصا . «البلاغة المقارنة» .

ويتمثل هذا المنعطف الجديد في توصيف وتحليل وتفسير مؤتلف ومختلف الحياة البيانية الذهنية «المقولاتية» المجردة أو التجريبية الحيوية، الحية، للبلاغتين العربية والفرنسية بالاحتكام إلى ما تكتنزه وتدلّ به، وتتثاقف أو تتعارف أو تتحاور بموجبه عشرات النصوص الإبداعية المختارة، الأدخل في تناسلات «كوثر» المتخيّل الشعري في الأدبين العربي والفرنسي، ما يعني في الحقيقة أن وجهة القصد المبثوثة في حنايا هذا الإنجاز، لا تقتصر على التمثلات والتشكلات المقارنة لمؤتلف –وبالأساس– لمختلف «البلاغة البلاغية»، في مدار لغتين أو ثقافتين أو حضارتين تحاج وتباهي كل واحدة منهما بانفلاتها عن عبقرية خاصة أو أخص، تجريدية أو تجريبية فحسب، وإنما تكمن وتتبدى وجهة القصد في إثارة سؤال إشكالي، قديم، جديد، وهو: كيف تذرع أو توسّل المبدعون، من الشعراء وكتاب الملاحم والروايات والمسرح ومطلق الحكائيين، بمن فيهم أهل الكلام التداولي السيّار في الحياة العادية للأفراد والمجتمعات «بالبلاغة البلاغية»

المعيارية، لتجذير وكوثرة وحيوية الوعي الجمالي والمعنوي معا «بالبلاغة الشعرية» التي اقْتَنَعَ وأقنع أ.د مختار نويوات بجدواها وسعة آفاقها وعالمية ثراء حمولتها، من موقع المقارنة النصية، المعرفية القائمة على توخّي تكامل وتفاعل المختلف، دون تجاوز ما يبدو مؤتلفا على نحو أو آخر.

كتاب
البلاغة العربيّة في ضوء البلاغات المعاصرة
للأستاذ الدكتور مختار نويوات

عرض: الدكتور محمد قمّاري



هذا عنوان كتاب ليس ككل الكتب، لأن مؤلفه ليس كأحد من المؤلفين، أما الكتاب فهو: «**البلاغة العربيّة في ضوء البلاغات المعاصرة**»، وأما مؤلفه فهو الأستاذ الدكتور

مختار نويوات، ويكفي ذكر اسم المؤلف بين المشتغلين بعلوم العربيّة ليعرف القارئ قيمة هذا السفر العظيم!

فمن الناس من يعرف لغة أو لغتين، معرفة تغنيه في النفاذ إلى المعاني القريبة أو فهم فحوى النص الذي بين يديه، ومن الناس من يؤتى ثقافة واسعة يتوسل بها في النفاذ إلى أبعد من فك حروف اللّغة ورموزها، أو ما بات يعرف بالقراءة الواعية، لكن صفوة من الناس تخطت حاجز اللّغة الظاهر وخرجت من أقطار بنيتها الظاهرة إلى إدراك الأسرار الكامنة.

هذه الكفاءة ليست موهبة، إنها بنت أصيلة لمصاحبة طويلة ودربة شاقة، وسفر متواصل عبر عصور التطور في اللّغة، وذهاب وإياب بين المعاجم والقواميس تغدو معه الألفاظ والتراكيب والبنى كائنات حيّة، يشهد الباحث لحظات ميلادها وطفولتها و(مجازها) وتفرع أغصانها.

والأستاذ مختار نويوات من هذه الصفوة، لا في لغة واحدة وهي لغته العربيّة لكن أيضا في اللّغة الفرنسية، حيث لا يمل من (تفصيص) بنيتها، يشقق تراكيبها، ويعزو مفرداتها إلى نجارها الأول.

من هنا، حق لنا القول أن كتابه (البلاغة العربيّة في ضوء البلاغات المعاصرة) ليس كسائر ما يخط الناس ويعرضون، فهو

كتاب علم خط أسطره يُراع (عالم). وجاء الكتاب في 590 صفحة من الحجم المتوسط، واشتمل على أربعة أقسام توزعت على فصول ومباحث، ويندرج الكتاب في مدرج الدّراسات المقارنة، خصص القسم الأول منه للمجاز، ولا يمكن تصور (لغة) من لغات البشر دون الوقوف على هذه الدحرجة العجيبة فيها من معنى أو مسمى، يتجاوز به البشر ما وضع له ابتداء إلى سلسلة لا تعرف نهايتها من توليد المعاني و المسميات، يكون الانطلاق فيه من المحسوس إلى التجريد.

وهذا المجاز لا يوّلدُ اعتباطا فلهو ضوابط، منها: (مجازات الاشتمال) الذي خصص له الكتاب القسم الثاني من الكتاب ليرحل بنا في تفصيلاته من استعارة، ومجاز صوري عاطفا الكلام على جانب معرفي كالتعبير بالانعكاس...ثم ينتقل في القسم الثالث إلى الحديث عن المجاز في الخطاب بعلله الظرفية والموّلدة وأثر هذا المجاز في الخطاب.

يصل بنا الكاتب في القسم الرابع إلى الصُوّر البلاغية في غير المجاز وأهمها صُوّر التركيب الدورية، فصور التركيب الجزل، ثم صوّر جديدة من صور التركيب الجزل، ليلحق بالمبحث صور الخطاب التعبيرية وصور الفكر وغيرها من أبحاث لا يتسع هذا العرض السريع لعرضها.

يبقى أن نقول: أنّ الأستاذ نويوات قد عرض في كتابه لنماذج من ترجمة النصوص، تظهر كفاية فذة ووعيا لغويا يحتذى عند من يخوض عباب الترجمة الأدبيّة.

وهـذا نـموذج مـن ترجمته لنـص شعـري عـن الفرنسية في صفحة 414 في بـاب اسشهـاده في مبحث التناغم (L' Harmonie) كتبه أنطوان بيي Antoine de PIIS 1755–1832، يقول صاحب القصيدة:

L'R en roulant, approche et tournant à souhait,
Reproduit le bruit sourd du rapide rouet ;
Elle rend, d'un seul trait, le fracas du tonnerre,
La course d'un torrent, le cours d'une rivière ;
Et d'un ruisseau qui fuit sous les saules épars,
Elle promène en paix les tranquilles écarts.
Voyez-vous l'Éridan, la Loire, la Garonne,
L'Euphrate, la Dordogne et le Rhin et le Rhône,
D'abord avec fureur précipitant leurs flots
S'endormir sur les prés qu'ont ravagés leurs eaux ?
L'R a su par degrés vous décrire leur rage

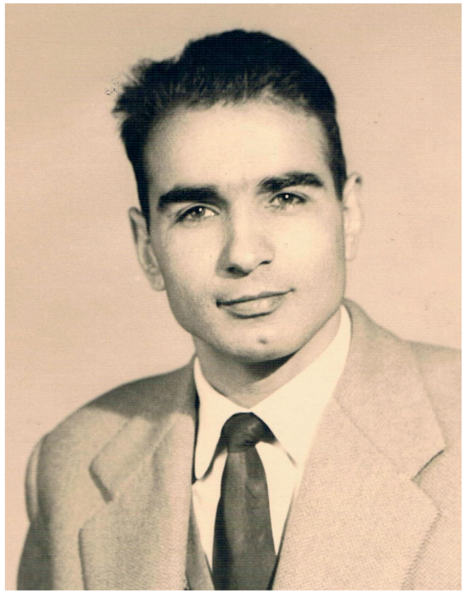
وهذا نص الترجمة:

الرَّاء في تدحرجها تقرب وفي دورانها وفق المراد
تُرَدِّدُ صوت البكرة، الخريدَ السّريع
وبكلّ سرعة تحكي هدير الرّعـد
وجريان السّيل الجارف ومجرى النهر:
وتجعل من الجعفر المنسرب بين أشجار السوحر المنتشر
نهرا هادئا يتنزه بين صفافه المتباعدة
أترون (أنهار) الايردان، ولالْوار، ولاغارون،
والفُرات، والدّوردون، والرّين، والرُّون
أترونها في أوّل أمرها عرما سيلها
ثم راقدة في المروج التي دمرتها مِياهُهَا؟
لقد عرفت الرَّاء، وبالتدرُّج، كيف تصف لكم سُعارها.

ملحق الصّور



صور شخصية للدكتور مختار نويوات
في مراحل عمرية مختلفة



مختار في العام 1958 بعد خروجه من السّجن



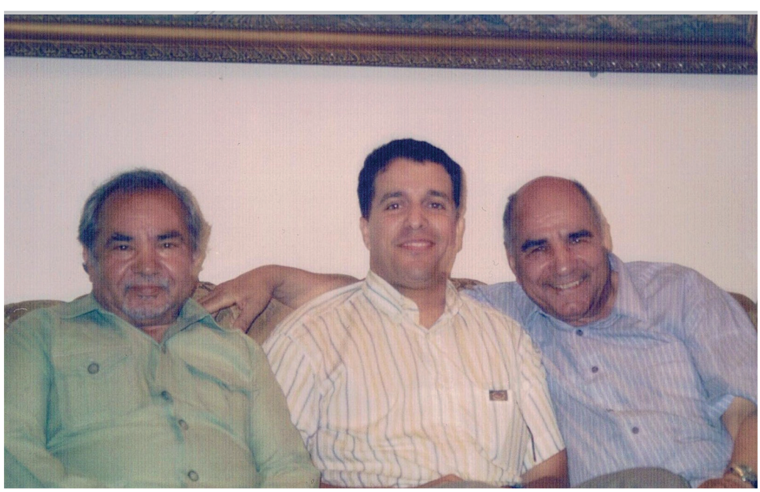
بدأ مختار نويوات حياته المهنية بعد الاستقلال موظفًا
بإحدى الإدارات بمدينة تبسّة 1962



مختار نويوات وإلى يساره زميل الدراسة الشاعر
عبد القادر بن محمّد في العام 1949



نويوات (أقصى اليمين) مع كتاب تونسيين بينهم
العروسي المطوي في منتصف السبعينيات بتونس.



مختار وشقيقه سعد الدين نويوات وبينهما أحد الأقارب



صورة تجمع مختار ووالده العلاّمة
الشيخ موسى الأحمدي



الدكتور نويوات يتوسّط الدكتورين العطيّة والتميمي بعد مناقشة
أطروحة في النحو بجامعة قسنطينة



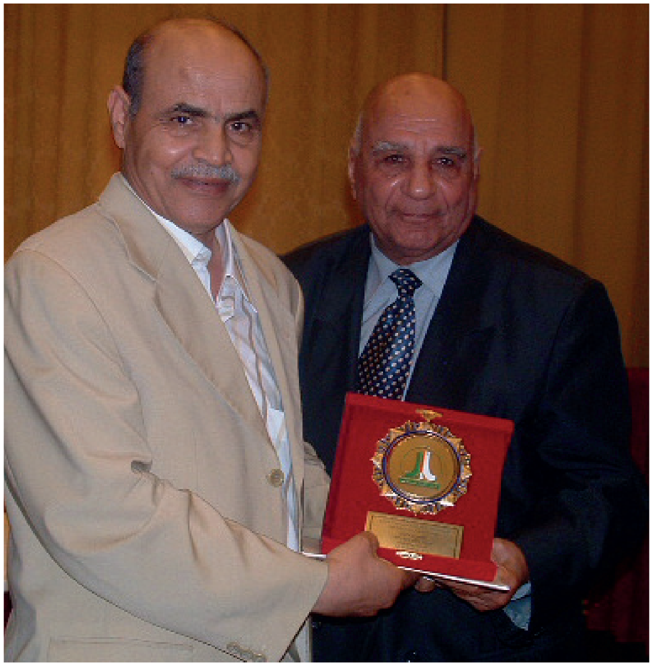
الدكتور نويوات يرأس لجنة مناقشة إحدى الأطروحات
في فترة انعقاد مؤتمر الفكر الإسلامي بقسنطينة 1983



الدكتور نويوات عضو لجنة مناقشة إحدى الأطروحات
بجانب الدكتورين مرتاض وبوخلخال



الدكتور نويوات يرأس لجنة مناقشة، وبجانبه الدكتوران
عبد الله بوخلخال ومحمد عيلان



الدكتور نويوات يسلم شهادة تكريم للكاتب
التونسي الرّاحل محمد الصالح الجابري



من اليمين إلى اليسار: محمد العربي ولد خليفة،
مختار نويوات، عبد المجيد حنّون، عبد اللّه العشّى



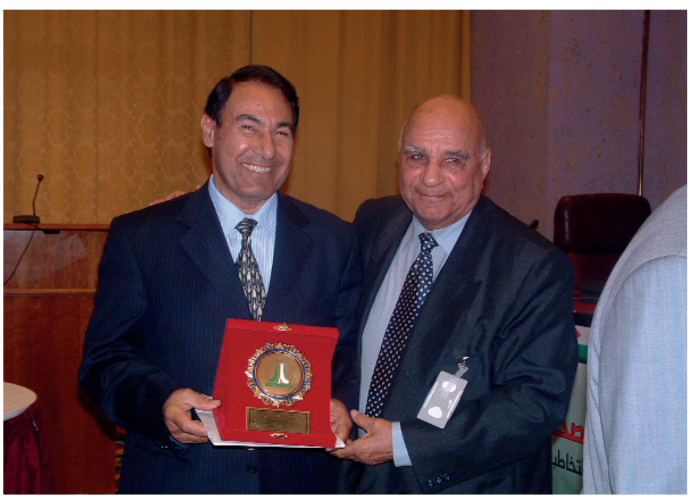
نويوات (أقصى اليمين) إلى جانب محمد الصالح بوسلامة
والطاهر زرهوني والمرحوم عبد الرحمن شيبان



نويوات يسلم شهادة تكريم للدكتور بشير مصيطفى



مختار نويوات يتبادل الحديث مع عبد الجليل مرتاض



نويوات يكرّم الدكتور علي القاسمي

محتوى الكتاب

تكريم قامة..

الأستاذ الدكتور مختار نويوات
عمرٌ من المعرفة
كلمات وشهادات

"اكتساب اللغة لا ينحصر في تبسيط النحو وتطويره بل يتجاوز إلى اختيار المادّة اللغوية المناسبة لعصرها، المحرّرة للألسنة، الكفيلة بجعل المواطن يعرب بلغته عمّا في ضميره، وذلك معنى الإعراب في الأصل. فإذا كنّا نتقلّب في مناخ حضاري جلّ عناصره أجنبيّة ونسمّيها بمسمّياتها التي فرضتها علينا متطلّبات الحياة والعولمة ببعض نتائجها فإنّ لساننا يبقى حبيسا ولغتنا لا تتخلّص من الهجنة. الطريق أمامنا طويل لكنّ بلوغ الهدف غير بعيد إن تضافرت الجهود".

مختار نويوات

منشورات
المجلس الأعلى للغة العربية

شارع فرانكلين روزفلت الجزائر
ص ب 575 الجزائر ديدوش مراد
الهاتف: 24 07 23 21 213+
الفاكس: 07 07 23 21 213+
www.csla.dz